أجاثا كريستي

القاتل الخفى

ترجمـة
احمد حسن

الحريــة
للنشر والتوزيع

اسم الكتــاب	القاتل الخفى
ترجـــمـــة	أحمد حسن
النــاشــــر	الحرية للنشر والتوزيع
	٣ ميدان عرابى وسط البلد ـ القاهرة
	ت: ٢٢٦١٥٦٤٦ ـ ٢٥٧٤٥٦٧٩
	م: ٠١٢٣٨٧٧٩٢١.
رقم الإيـداع	٢٠٠٧/٤٧٣٩
الترقيم الدولى	977-7200-153- 3

الحريــة
للنشر والتوزيع
3 ميدان عرابى وسط البلد ـ القاهرة
0123877921 - 25745679

الرسالة

حدث هذا فى شهر يونية عام ١٩٥٣ عندما عدت إلى إنجلترا من مزرعتى فى أمريكا الجنوبية، لاقضى فى ربوع الوطن ستة اشهر... أنجز خلالها بعض المهام الضرورية، بعد أن تركت زوجتى وحدها تدير شئون المزرعة.

ولست بحاجة لان اذكر أن أول شئ قمت به بعد عودتى إلى إنجلترا، هو مبادرتى بزيارة صديقى هريكول بوارو.

وقد وجدته يقيم فى مسكن أنيق من احدث المساكن فى لندن... ولا عجب فى هذا، إذ كان أحد المساكن التى تضمها عمارات نيوهافن فى أحد الأحياء الراقية.

ودار الحديث طويلا بيننا عن أيامنا السابقة فى التعاون على كشف غموض الجرائم المعقدة، وعن الشيب الذى خط شعر كل منا، وعن احسن أنواع صبغات الشعر التى تجعله يبدو طبيعيا لامعا، وعن صلعة بوارو التى ستوفر عليه كمية كبيرة من الصبغة!

وفى أثناء الحديث عن الجريمة والجرائم، قال لى بوارو فجأة:

- هل تعرف يا هاستنج إننى اعتبرك تميمة حظ!؟

- أحقا؟ وكيف ذلك؟

ولم يرد بوارو على سؤالى مباشرة، وانما استطرد يقول:

- بمجرد أن علمت انك فى الطريق إلى هنا، قلت لنفسى:

- لابد وان شيئا سوف يحدث، وأننا سنمضى معا، كأيامنا السابقة، للإيقاع بالمجرم فى شباك العدالة.

وهز كتفيه وأردف يقول:

- وإذا صحت نبوءتى، فلا ريب أن ما سوف يحدث سيكون شيئا ضخما، مثيرا، جديرا بمثل هذه النبوءة..

فهتفت قائلا:

- اقسم يا بوارو أن من يسمعك، يحسبك تتحدث عن حفلة ضخمة تنوى إقامتها فى فندق ريتز.

- آه يا صديقى... إننى أؤمن بالحظ.. أؤمن بالقدر.. واشعر أن الأقدار قد دفعت بك إلى هنا فى هذه الأيام لتكون بجانبى وتجنبنى ارتكاب الأخطاء التى لا تغتفر.

- وماذا تعنى بالأخطاء التى لا تغتفر، يا بوارو؟

- هى إهمال ملاحظة الأشياء الواضحة العادية.

- حسنا.. حسنا...

- وهل هذا الحدث الضخم على وشك الوقوع؟

فهز بوارو كتفيه، وقطب جبينه مفكرا، ثم أومأ برأسه كأنما استقر على شئ، ثم نهض وتناول من خزانة محفوظاته المرتبة الأنيقة خطابا مفتوحا، وتقدم به نحوى فى تردد، ثم قال وهو يسلمه إلى:

- اقرأ هذا الخطاب يا عزيزى، وأخبرنى برأيك فيه.

فتناولت الرسالة من يده، ووجدت أنها مكتوبة على الآلة الكاتبة وعلى ورق رسائل سميك بعض الشئ، وكانت كما يلى:

(المستر هريكول بوارو... انك تظن نفسك عبقريا فى الكشف عن غموض الجرائم المعقدة التى يعجز عن كشفها رجال المباحث الإنجليز الأغبياء... حسنا أيها العبقرى بوارو، دعنى نرى إلى اى حد تبلغ مهارتك... ولعلك ستجد أن هذه الجريمة أعلى من مستواك.. انتظر ما سوف يحدث فى بلدة اندوفر فى اليوم الحادى والعشرين من هذا الشهر..

المخلص جدا: ا. ب. س

ونظرت إلى المظروف الذى كان مكتوبا على الآلة الكاتبة أيضا، فوجدت انه أرسل من بريد و. س. ا. وبعد برهة صمت، قال بوارو:

- ما رأيك؟

فهززت كتفى، واعدت الرسالة إليه، قائلا:

- اعتقد أن كاتبها رجل مخبول..

- أهذا كل ما لديك من أقوال؟

- ألا ترى انه مخبول تماما؟

- إلى حد ما..

ونغمة ما فى صوته جعلتنى انظر إليه، واقول فى دهشة:

- هل تنظر إلى هذا الموضوع باهتمام كبير يا بوارو؟

- إن الرجل المجنون، يا صديقى، ليس بالشئ البسيط الذى لا يثير الاهتمام.. انه قد يكون شديد الخطر.

فقلت مسرعا:

- نعم.. نعم.. ولكنى أردت أن أقول فقط أن مجنونا أرسل إليك هذه الرسالة لإثارة ضجة جوفاء. أو لعل كاتبها رجل أسرف فى الخمر حتى فقد صوابه!

- كل هذا محتمل.. ولكننى غير مطمئن فى الوقت نفسه.

فسألته قائلا:

- هل عرضت هذه الرسالة على رجال الشرطة؟

- اجل.. عرضتها على المفتش جاب، فقال، كما قلت أنت تماما، إنها دعابة ثقيلة من رجل سكير مجنون، أكد لى أن إدارة اسكتلانديار تتلقى فى اليوم الواحد عشرات من هذا النوع من الرسائل.

- إذن فلماذا تهتم بأمرها كل هذا الاهتمام؟

فأجاب بوارو ببطء قائلا:

- إن فى هذه الرسالة يا هاستنج شيئا يقلقنى...

فقلت وأنا أراه يعيدها إلى مكانها:

إذا كان الأمر كما تقول، أفلا تستطيع أن تفعل شيئا؟

آه، انك دائما هكذا! ولكن ماذا فى وسعى أن افعل؟..

- إن رجال المباحث لا يهتمون بالأمر، وليس على الرسالة بصمات أصابع. وليس هناك اى دليل يشير إلى كاتبها.

ليس هناك فى الواقع ألا شعورك الخاص.

لا يا عزيزى هاستنج.. لا شأن لمشاعرى بهذا الموضوع، إنما هى المعرفة... التجربة الطويلة هى التى تقول لى أن فى هذه الرسالة شيئا يثير القلق.

ثم لوح بيديه فى شبه يأس لان الكلمات لم تسعفه، ثم هز رأسه وقال: لعلى اقيم من الحبة قبة.. وأيا كان الأمر، فليس أمامنا إلا الانتظار.

- اجل... وان الحادى والعشرين من هذا الشهر يوافق يوم الجمعة، فإذا وقع حادث سرقة بالقرب من اندوفر مثلا..

فقاطعنى قائلا بسرعة: عندئذ أتنهد بارتياح.

- تتنهد بارتياح؟!

- نعم، لان الذى يخيفنى أن يكون الأمر اخطر جدا من مجرد حادث سرقة.

لا يرويه الكابتن هاستنج

نهض المســتــر الكسندر بونابرت سـوست من مقـعده، وحملق بنظره القصير فيما حوله، فى غرفة نومه البالية.

وكان ظهره متصلبا بسبب جلسته غير المريحة، ومن ثم راح يتمطى، ويشب على قدميه، بحيث لو رآه أحد فى تلك اللحظة، لحسبه رجلا طويلا جدا.

ومضى إلى معطفه القديم المعلق خلف الباب، وتناول من جيبه علبة سجائر رخيصة وبعض أعواد الثقاب. وأشعل لنفسه سيجارة ثم عاد إلى المائدة التى كان جالسا إليها.

وتناول دليلا للسكك الحديدية، وراح يبحث فيه عن شئ معين، ثم راح يتأمل قائمة بعدد كبير من الأسماء المكتوبة على الآلة الكاتبة.

ومد يده ببطء، وعلم بالقلم على الاسم الأول...

وكان ذلك فى يوم الخميس، العشرين من شهر يونية.

الجريمة الأولى

رغم تأثرى بهواجس صديقى بوارو،
إلا أننى فى الأيام التالية قد نسيت
فى خضم شاغلى أمر تلك الرسالة.

ولم أتذكرها، فى الواقع، مرة أخرى إلا فى اليوم الثانى والعشرين من الشهر، عندما اقبل مفتش المباحث جاب إلى مسكن صديقى بوارو.. ولما رآنى صافحنى بشوق وحرارة، لأننا كنا صديقين قديمين، وصاح مدهوشا:

– آه.. هذه مفاجأة يا كابتن هاستنج! متى جئت من تلك البرارى التى ذهبت إليها؟!

- أنى إذ أراك الآن اذكر تلك الأيام الطيبة التى كنت أراك فيها مع المسيو بوارو دائما..

- آه، أنى أراك بخير وان كان شعرك قد بدا يخف بتأثير الزمن.. حسنا، حسنا.. هكذا الأمر معى أيضا.

وامتعضت قليلا من هذه الملاحظة، ولكنى تذكرت فجأة إن جاب لم

يكن لبقا فى أحاديثه مع أحد.. ومن ثم تظاهرت بالابتسام، بينما استطرد المفتش جاب فى حديثه مع بوارو قائلا:

- وهكذا أنت دائما يا مسيو بوارو.. كلما فكرت فى اعتزال هذا الركض الطويل وراء المجرمين، وجدت نفسك فى خضم أحداث جديدة. هل سمعت يا كابتن هاستنج عن الرسالة الغامضة التى تلقاها المسيو بوارو؟

فقال بوارو:

- لقد اطلعت هاستنج عليها منذ بضعة أيام.

فهتفت قائلا:

- اجل.. اجل.. لقد نسيت أمرها. ماذا كان التاريخ المذكور فيها؟

فقال جاب:

- الحادى والعشرون.. وهذا ما دفعنى إلى الحضور. فقد كان أمس الحادى والعشرون من الشهر.. وبدافع من الفضول فقط اتصلت أمس تليفونيا بمركز شرطة اندوفر، فقيل لى انه لم يحدث اكثر من مشاجرة بين أحد السكارى وزميل له، وإصابة طفلة بحجر قذفه عليها طفل فى مثل سنها. ومن ثم اعتقدت أن المسيو بوارو لم يكن موفقا فى هواجسه هذه المرة.

فاعترف بوارو قائلا:

- إننى قد استرحت الآن... حمدا لله.

- كنت شديد الجزع بسبب هذه الرسالة.. أليس كذلك؟

- لك الله.. إننا نتلقى عشرات أمثالها كل يوم.. ويبدو أن هناك طائفة من الناس تهوى كتابة هذا النوع من الرسائل.. لأسباب كثيرة مختلفة..

- الواقع أننى أوليت هذه الرسالة من الاهتمام اكثر مما تستحق.

- حسنا.. حسنا.. لا عليك.. إن كل ما ينتهى بالخير، فهو خير. لقد حضرت لزيارتك اليوم لأطمئنك من جهة، ولانى كنت أقوم بالتحقيق فى حادث سرقة جواهر بالشارع المجاور.. طاب يومكما.

وبعد انصرافه قلت لبوارو:

- انه لم يتغير كثيرا..

- اجل.. ولكن الشعر الأبيض تكاثر فى فوديه بشكل ملفت للنظر.. حسنا، يبدو انى كنت مخطئا حقا فى هواجسى عن تلك الرسالة. ويلوح أن الإنسان كلما كبر فى السن ازداد ارتيابا فى كل شئ، كالكلب العجوز الأعمى الذى يحاول أن يثبت وجوده بالنباح الأجوف.

وهنا ضحكت، وقلت:

- اسمع يا عزيزى بوارو، إذا كنت تريد أن استأنف العمل معك فى الإيقاع بالمجرمين، فيجب أن تكون الجريمة من النوع المثير الذى يقيم الرأى العام ويقعده.

فضحك بدوره وقال:

- إذا قدر لك أن تختار جريمة كما تختار طعام غدائك، فكيف تريدها أن تكون؟ سرقة مثلا، أو تزييف؟

- أريد أن تكون جريمة تهديد رئيس وزارة مثلا، أو خطر يحدق بمليونير امريكى يعيش فى إنجلترا، أو خطف رئيس تحرير صحيفة كبرى. وان يراق على جوانب الجريمة الدم.

فتنهد بوارو، وقال:

- ولابد طبعا أن يكون العنصر النسائى فيها ... فتاة جميلة..

- ذات شعر ذهبى!

- اجل، لان الجمال كثيرا ما يجنى على صاحبه ويثير حسد الناس له.

وقلت فجأة:

- ويحسن أن تعقب الجريمة الأولى، جريمة ثانية، لان هذا يزيد من اهتمام الناس بالأمر، لان الجريمة الواحدة، لاسيما حين تكتب فى قصة مطولة، فقد تبعث على ملل القارئ.

وعندئذ صلصل جرس التليفون، فتناول بوارو المسماع، وقال:

- اجل، أنا بوارو.. هريكول بوارو.

وصمت برهة ينصت، ثم اربد وجهه وهو يقول هذه العبارات على التوالى:

- نعم، نعم..

- طبعا..

– طبعا.. طبعا، سوف نحضر.

– اجل.. ربما كان الآمر كما تقول.

– ساتى بها معى.

واعاد المسماع إلى الحمالة، وقال لى:

– انه المفتش جاب يا هاستنج.

– ماذا يريد؟

– قال انه عقب وصوله إلى اسكتلانديارد، وجد فى انتظاره رسالة من اندوفر.

فهتفت قائلا بانفعال:

– اندوفر؟

– اجل.. وجاء فى الرسالة أن امرأة عجوز تدعى المسز اسكر وجدت مقتولة فى دكانها الصغير الذى تبيع فيه التبغ والسجائر والحلوى.

واعترف أن انفعالاتى هبطت فى تلك اللحظة.. لقد كنت أتوقع أن اسمع عن جريمة تهز الرأى العام، أما مقتل امرأة عجوز فى بلدة نائية، فهو حدث عادى يقع الكثير منه كل يوم.

واستطرد بوارو يقول:

– ويعتقد رجال الشرطة فى اندوفر أن فى مقدورهم وضع أيديهم على الفاعل..

وازدادت انفعالاتى هبوطا، بينما أردف بوارو يقول:

- ويبدو أن المرأة كانت على خلاف مع زوجها الذى أدمن الخمر واصبح عاطلا منحط الأخلاق. وقد سمعه الكثيرون وهو يهدد زوجته بالقتل..

وصمت بوارو برهة، قبل أن يستأنف الحديث قائلا:

- ومع هذا كله، فان إدارة المباحث فى اسكتلانديارد يريدون أن يعيدون النظر فى الرسالة الغامضة التى تلقيتها، وقد وعدتهم بأننا سنحضر.. إلى اندوفر.

وأحسست بالانفعال المثير مرة أخرى، وخامرنى ذلك الشعور القديم، شعور كلب الصيد، وهو يتأهب للإنطلاق وراء الثعلب المراوغ..

وكان بوارو لا يزال يتحدث، ولكننى لم اسمع شيئا مما قال.

واستقبلنا فى اندوفر المفتش جلين، وكان رجلا طويلا أشقر "بشرة، لطيف الابتسامة.

واعتقد أن من واجبى، أولا، أن اسرد هنا الحقائق المجردة التى عرفت عن الجريمة، والظروف المحيطة بها:

(اكتشف أمر الجريمة الكونستابل دوفر فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، أى فى أول ساعة من صباح اليوم الثانى والعشرين من الشهر.

- وكان يقوم بدورتيه الليلية التفتيشية عندما لاحظ أن باب دكان المسز اسكر غير مغلق، فدخل.. وظن فى أول الأمر انه لا يوجد به

أحد. وفيما هو يسلط كشافه الكهربائى على ما وراء منصة البيع، رأى جسم امرأة عجوز مكوما، ولما حضر طبيب الصحة قال أن المرأة العجوز، الذى ثبت إنها المسز اسكر نفسها، ماتت بضربة عنيفة أصابت مؤخرة رأسها، ومن المحتمل أن تكون الضربة هوت عليها أثناء استدارتها لاستحضار علبة سجائر من فوق أحد الرفوف.. وقد حدد الطبيب الوفاة من سبع إلى تسع ساعات قبل اكتشاف الحادث).

وقال المفتش فى أثناء حديثه:

– ولكننا استطعنا أن نحدد الوقت بأقل من هذا، لأننا عثرنا على رجل اعترف انه اشترى علبة تبغ من المسز اسكر فى الساعة الخامسة والنصف من مساء الحادى والعشرون، وقال آخر انه ذهب لشراء علبة سجائر فوجد الدكان خاليا، كما أظن، فى الساعة السادسة وخمس دقائق. وأنا لم اعثر بعد على أى شخص يشهد بان رأى زوجها المستر اسكر بالقرب من دكانها فى ذلك الوقت المحدد.

– ولكن قيل لنا انه كان فى حانة (ثرى كراونز) فاقد الوعى بالـ ر فى الساعة التاسعة من مساء أمس. وعندما يتم القبض عليه، سوف نحجزه رهن التحقيق.

فقال بوارو:

– انه كما سمعت شخصية فاسدة.

– اجل..

– هل كان يعيش مع زوجته؟

- لا .. لقد انفصلا منذ بضعة أعوام. واسكر المانى الجنسية، وكان فى يوم ما يشتغل جرسونا، ثم أدمن الخمر واصبح تدريجيا غير صالح لاى عمل. واشتغلت زوجته بالخدمة فى البيوت حينا.

- وكان آخر عمل لها أنها اشتغلت طاهية، ومديرة بيت فى منزل عانس عجوز تدعى المس روز.. وكانت المسز اسكر تعطى بعض المال لزوجها، من اجرها، لتسكته عنها، ولكنه كان يسكر ويذهب إليها، ويثير معها المنازعات والفضائح.. وهذا ما جعلها تقبل العمل مع المس روز فى بلدة جرانج التى تبعد عن اندوفر بثلاثة أميال.

وهكذا لم يكن يستطيع أن يتردد عليها بكثرة. ولما ماتت المس روز، تركت فى وصيتها للمسز اسكر مبلغا من المال استطاعت به أن تنشا متجرا لبيع التبغ والحلوى والصحف. وكان دخلها من هذا المتجر يتيح لها حياة الكفاف.

- ولكن زوجها ظل يثقل عليها بطلباته حتى اتفقت معه على إعطائه خمسة عشر شلنا كل أسبوع اتقاء لشره.

- هل لديهما أبناء؟

- لا .. ولكن المجنى عليها ابنة أخت تشتغل مديرة بيت فى بلدة اوفرتون، وهى فتاة ناضجة كريمة الأخلاق.

- وذلك الرجل المدعو اسكر كان يهدد زوجته دائما؟!

- اجل.. وكان إذا سكر يصبح وحشا بذئ اللسان، وكثيرا ما هددها بتحطيم رأسها.

- وكم كان عمر المجنى عليها؟

- فى نحو الستين.. وكانت سيدة محترمة، مكافحة.

- إذن فأنت تعتقد يا سيدى المفتش بان زوجها هو القاتل؟

فتنحنح المفتش جلين قبل أن يقول:

- يجب أولا أن نعرف كيف أمضى فترة المساء أمس. فإذا ثبت انه كان بعيدا عن مسرح الجريمة عند وقوعها، فربما أفرجنا عنه، وإلا...

- ألم يسرق شئ من الدكان؟

- لا شئ... فان النقود ظلت كما هى فى الدرج، ولا يبدو أن هناك شيئا مسروقا.

- إذن فأنت تعتقد أن المدعو اسكر ذهب، وهو مخمور، إلى دكان زوجته ثم تشاجر معها، وضربها بشئ ثقيل على أم رأسها؟!

- هذا ما يبدو لنا حتى الآن.. ولكننا نريد أن نلقى نظرة على الرسالة الغامضة التى جاءتك.

وبعد أن قرا المفتش الرسالة، قطب جبينه وقال:

- لا يلوح أن اسكر هو كاتبها، لان يد الرجل أصبحت الآن ترتعد بشدة بسبب إدمانه للخمر، وهذه الرسالة مكتوبة بيد ثابتة وبخط واضح. كما أن الورق والمداد من نوعين ممتازين بعيدين عن متناول رجل فى مثل ظروف اسكر.. ولهذا أرى أن الأمر مجرد مصادفة.

- هذا محتمل..

– ولكننى لا اطمئن إلى مثل هذا النوع من المصادفات.

وصمت برهة قبل أن يقطب جبينه مرة أخرى ويردف قائلا:

– ا. ب. س! من يكون هذا الشيطان. ب. س. لسوف نحاول أن نعرف رأى مارى دراور، ابنة أختها، فى هذا الموضوع ولولا هذه الرسالة لراهنت بكل قرش معى أن اسكر هو الجانى.

– ألديكم أية معلومات عن تاريخ المجنى عليها؟

– إنها امرأة من إقليم هامشير، ذهبت للخدمة فى المنازل، منذ كانت فتاة، فى مدينة لندن.. وهناك تقابلت مع اسكر وتزوجته.

ـ وفى عام١٩٤٥ انفصلت عنه نهائيا بدون طلاق. وعادت إلى هذه البلدة لتبقى فى منأى عنه، ولكنه تبعها إلى هنا وراح يبتز مالها..

وهنا حضر أحد الكونستبلات، فقال له المفتش:

– حسنا يا بريجز؟

– لقد أحضرنا المدعو اسكر.

– ادخله فورا.. أين كان؟

– كان مختفيا فى مركبة سكة حديد مهجورة.

– حسنا.. ادخله فورا.

وكان فرانز اسكر، الالمانى الأصل، والانجليزى الجنسية، نموذجا بائسا من الجنس البشرى. وكان يثرثر ويدمدم قائلا، وهو يحملق فى وجوهنا بنظرات ملؤها الخوف والاحتجاج:

- ماذا تريدون منى؟

- إننى لم افعل شيئا .. إنكم تظلموننى... كل إنسان فى هذه الدنيا يظلمنى.. إننى مسكين، دعونى وشانى..

وشرع اسكر فى البكاء، وهنا قال له المفتش:

- تمالك نفسك يا اسكر.. إننا لم نوجه إليك بعد أى اهتمام.

ولم يجبرك أحد على أن تقول شيئا رغما عنك.

- ولكننى لم اقتلها.. لم اقتلها.. دعونى وشانى.

- لقد هددتها كثيرا بالقتل يا اسكر.. أليس كذلك؟

- لا.. لا.. كنت امزح معها فقط.

- نوع لطيف من المزاح.. أليس كذلك؟ حسنا.. أين كنت بعد غروب يوم أمس يا اسكر؟

- إننى لم اقترب من دكانها.. لقد كنت أمس بعد الظهر حتى ساعة متأخرة من الليل مع أصحاب محترمين، ذهبنا أولا إلى حانة (سيفن ستارز) ثم إلى حانة (رود دوج) وكان معنا ديك ويلز وكرودى العجوز، وجورج وبلات وغيرهم. نعم، إننى لم اقترب منها أمس..

ولما بدأ يصرخ، وهو فى حالة انهيار عصبى، أمر المفتش بنقله إلى غرفة الحجز على ذمة التحقيق، ثم قال بوارو:

- ما رأيك فى هؤلاء الشهود؟

- انهم جميعا من مدمنى الخمر.. ويتوقف الأمر الآن على أن يكون

هناك شهود آخرون قد رأوه بالقرب من الدكان بعد ظهر أمس.

وبعد برهة صمت، قال بوارو:

- هل أنت واثق بأن شيئا ما لم يسرق من الدكان؟

فهز المفتش كتفيه، وقال:

- من يدرى؟.

- ربما سرقت علبة سجائر أو اثنتان، فان هذا شئ لا يمكن التأكد منه.

وبعد برهة صمت أردف قائلا:

- لكن من غير المعقول أن يرتكب شخص ما جريمة قتل ليسرق بضع علب سجائر.

- ألم يكن هناك.. فى مكان الجريمة شئ؟.. أعنى شيئا غريبا فى وضعه أو شكله أو مثيرا للانتباه؟

ففكر المفتش برهة، ثم قال:

- كان هناك دليل سكة حديد.

- دليل سكة حديد؟

- اجل، وكان مفتوحا ومقلوبا على منضدة البيع، وكأنما كان ثمة شخص يبحث فيه عن مواعيد القطارات المتحركة من محطة أندوفر.

- وهل كانت المسز اسكر تبيع هذا النوع من الكتب؟

فهز المفتش رأسه، وقال:

- كانت تبيع جداول سفر صغيرة لا يزيد ثمن الواحد منها عن نصف قرش، أما هذا الدليل، فكان من الحجم الكبير الذى لا يباع إلا فى المكتبات الكبيرة.

وهنا ومضت عينا بوارو، وقال بلهفة:

- أتقول دليل سكة حديد، اهو دليل برادشو أو ا. ب. س؟

وهتف المفتش قائلا:

- بحق السماء! انه من هذا النوع الذى يقوم على الأحرف الهجائية.



فى مسرح الجريمة

اعتقد أن اهتمامى بهذا الحادث قد تضاعف عند ذكر دليل برادشو السياحى القائم على تسجيل أسماء المحطات بالترتيب الابجدى، وكان اهتمامى قبل ذلك لا يعدو اهتمام اى شخص غريب بمقتل امرأة عجوز فقيرة فى بلدة نائية.

أنها جريمة من النوع الذى تنشره الصحف فى اصغر أركانها، وبأصغر حروف طباعتها، وكما اعتقد فى قرارة نفسى أن المسز اسكر ذهبت ضحية زوجها السكير، وانه لا شان للرسالة الغامضة بهذه الجريمة، وان الأمر كله لا يعدو أن يكون محض مصادفة.

- أما بعد أن سمعت بأمر هذا الدليل الابجدى للسكة الحديد، فقد أحسست برعدة تسرى فى كيانى وأنا أؤمن بان هذا لا يمكن أن يكون مصادفة أخرى.

لقد اتخذت الجريمة فى رايى وجهة أخرى، خطيرة.

فمن هو ذلك الشخص الخفى الذى قتل المسز اسكر، وترك وراءه الدليل الابجدى لمحطات السكة الحديدية؟

وبعد أن غادرنا مركز الشرطة فى اندوفر ذهبنا إلى المشرحة، حيث رأينا المجنى عليها، جثة هامدة، بشعرها الأشيب، والإصابة القاتلة فى رأسها.

وأسرعنا بالخروج إلى مكتب الجاويش الذى قال لنا مواسيا:

– إنها لم تعرف من الذى قتلها، فان الدكتور كان يقول أن الوفاة حدثت فى الحال.

- وأنى لمسرور لهذا، لان هذه السيدة كانت طيبة ومسكينة. واحمد الله أنها لم تتعذب.

وقال بوارو:

– يبدو أنها كانت جميلة فى شبابها.

فنظرت إليه مدهوشا، وقلت:

– هل لهذا علاقة بالحادث؟

– حسنا.. سوف نرى.

ثم التقينا بالدكتور كار الذى قال:

– إن رجال المباحث لم يعثروا على أداة القتل بعد. ولكن الواضح أنها أداة من نوع عادى، هراوة، ثقل من اى نوع، عصا محشوة بالحديد، أو كيس رملى..

ـ كل هذا قد يكون من الأدوات التى استعملت لارتكاب الجريمة.

– هل توجيه هذه الضربة كان يتطلب قوة خاصة؟

فنظر الطبيب إليه فى ارتياب وقال:

– أتعنى هل يستطيع رجل مثل اسكر فى السبعين من عمره، مرتعش اليدين أن يوجه ضربة كهذه!

ـ نعم.. أن هذا ممكن.

– اذن فقد يكون القاتل.. امرأة؟

فنظر إليه الطبيب فى دهشة، وقال:

– امرأة؟ إن هذا الاحتمال لم يخطر ببالى.

ـ ولكنه احتمال ممكن الوقوع. أما من الناحية النفسية. فيمكننى أن أقول أنها ليست جريمة نسائية.

فأومأ بوارو برأسه موافقا، وقال:

– بكل تأكيد. بكل تأكيد..

ـ إن هذا أمر بعيد الاحتمال، ولكن على الإنسان أن يشمل بنظره على جميع الاحتمالات. وكيف كان وضع الجثة؟

فذكر الطبيب انه يرجح أن المجنى عليها كانت قد استدارت بظهرها للقاتل لكى تأتى إليه بشئ، فأهوى على مؤخرة رأسها، فتكومت على نفسها وراء منضدة البيع، ومن ثم بدا الدكان لعابر السبيل وكأنه خال تماما.

وقال لى بوارو بعد انصرافنا:

– أترى يا عزيزى هاستنج.. هذه نقطة جديدة فى براءة اسكر، فلو انه هو الذى ذهب إلى زوجته يسبها ويهددها، فلوقفت أمامه تواجهه.. ولكنها كانت عند الوفاة مستديرة بظهرها إلى القاتل الذى جاء ولا شك فى هيئة رجل يريد شراء شئ.

ثم أردف قائلا، وهو ينظر فى ساعة يده:

– اعتقد أن اوفرتون ليست بعيدة عن هنا.. ما رأيك فى أن نسرع إليها الآن ونقابل ابنة أخت المجنى عليها؟

– ألا يحسن أن نمضى أولا إلى مسرح الجريمة؟

– افضل أن افعل هذا فيما بعد، لأسباب خاصة.

وبعد لحظات قليلة، كنا نندفع بالسيارة فى طريق لندن متجهين نحو بلدة اوفرتون.. وكان العنوان الذى أعطاه لنا المفتش ينطبق على بيت كبير الحجم، يبعد نحو ميل على الجانب (اللندنى) من القرية.

واستجابت لرنين جرسنا فتاة شابة فى ملابس سوداء، جميلة الوجه، متورمة العينين من فرط البكاء.

قال لها بوارو برفق:

– آه! اعتقد انك المس مارى دراور؟

– اجل يا سيدى.. إننى مارى يا سيدى.

– هل أستطيع أن أتحدث معك بضع دقائق بعد إذن سيادتك؟ إن

الموضوع يتعلق بمقتل خالتك، المسز اسكر.

- إن سيدتى فى الخارج يا سيدى، وهى لن تمانع فى أن تتفضل بالدخول.

ثم فتحت بابا لغرفة استقبال صغيرة. وبعد أن جلسنا بجوار النافذة، رمق بوارو الفتاة بإمعان، ثم قال:

- لقد سمعت طبعا بما حدث لخالتك؟

فأومأت الفتاة برأسها، وقالت والدموع تنساب من عينيها:

- علمت هذا الصباح يا سيدى عندما جاء أحد رجال الشرطة واخبرنى بالحادث.

- آه.. أن الآمر فظيع. يا لخالتى المسكينة! أتعيش بائسة طيلة حياتها ثم تكون هذه هى النهاية!

- ألم يعرض عليك رجل الشرطة الذهاب إلى اندوفر؟

- قال أننى يجب أن احضر جلسة التحقيق التى ستعقد يوم الاثنين التالى. أما الآن، فكيف اذهب وأين أقيم هناك؟

- إننى لن أطيق الإقامة فى غرفة خالتى التى تقع وراء الدكان. وزميلتى بالعمل هنا غائبة عند أهلها، واعتقد انه لا يجوز أن اترك سيدتى بمفردها فى مثل هذه الظروف.

فقال بوارو برفق:

- كنت تحبين خالتك؟

- جدا يا سيدى.. لقد كانت عطوفا على دائما.. هكذا كانت دائما منذ وفاة أمى.. وقد بدأت اعمل فى البيوت منذ كنت فى السادسة عشرة من عمرى.

- ولكننى كنت حريصة على قضاء يوم عطلتى الأسبوعية لديها.. وكان ذلك الالمانى اللعين سببا فى شقاء حياتها.. انه لم يتركها تنعم يوم بالراحة والهدوء.

وكانت الفتاة تتحدث بحماس.. فقال لها بوارو:

- ألم تفكر خالتك يوما فى طلب الطلاق منه؟

- لا يا سيدى.. إن خالتى لم تكن من النوع الذى يبرر الطلاق لاى سبب.

- وهل سمعته يهددها يا مارى؟

- أوه.. كثيرا.. وما افظع ما كان يقوله لها. كان يقول انه سيذبحها يوما، وسيحرقها يوما، وسيدق عنقها، كان لا يكف عن السباب بالإنجليزية والألمانية. ومع ذلك كانت خالتى تقول انه كان فى شبابه رجلا جميلا لطيفا مهذبا.

- إذن فأنت لم تدهشى كثيرا حين سمعت بمصرع خالتك واتهام رجال الشرطة إياه بأنه هو القاتل.

- على العكس يا سيدى.. لقد دهشت جدا، لأنه لم يخطر بالى قط أن مثل هذا الرجل العجوز السكير المهدم يستطيع أن يقتل نفسا بشرية.. بل اكثر من هذا كنت أراه يتراجع عنها كالكلب المذعور عندما

تستدير إليه وتبدأ بمعاملته بالمثل.. اجل.. لقد كان يخشاها!

- ومع ذلك كانت تعطيه مالا؟

- طبعا يا سيدى.. ألم يكن زوجها!

- اجل، اجل..

ثم أردف بوارو بعد لحظة صمت:

- لنفرض انه ليس قاتلها...

فحملقت فى وجهه فى دهشة وتمتمت:

- ليس قاتلها؟!..

- اجل.. لنفرض أن الذى قتلها شخص آخر، فهل لديك أية فكرة من يمكن أن يكون؟

- لا يا سيدى، مطلقا، إن هذا غير محتمل، فمن هذا الذى يسعى لقتل امرأة عجوز مسالمة مثل خالتى!

- ألم تسمعيها تذكر اسم شخص غاضب منها أو ساخط عليها؟

- أبدا أبدا يا سيدى..

- ألم تستلم قط رسائل بتوقيعات أشخاص مجهولين؟

- لا أظن يا سيدى..

- أليس لخالتك أقارب غيرك؟

- لا أظن يا سيدى.. لقد كنت واحدة من عشر بنات وأبناء. ولكن

لم يعش منهم سوى ثلاثة غيرها.. هى وخالى توم الذى قتل فى الحرب، وخالى هارى الذى رحل إلى أمريكا الجنوبية، ولم نعد نسمع عنه شيا، أما امى فقد ماتت وأنا طفلة..

- وهكذا لم يبق لها من الأقارب غيرى.

- هل كانت خالتك تدخر مالا؟

- كانت تدخر فى بنك التوفير مبلغا بسيطا، يكفى لتغطية نفقات جنازتها، أما فيما عدا ذلك فقد كانت تجاهد حتى تقيم أودها.. فضلا عن المبالغ التى كان ذلك الشيطان يبتزها منها.

فأومأ بوارو برأسه، ثم نهض، وهو يقول:

- إذا احتجنا إليك فى اى وقت يا مارى، فهل نكتب إليك فى هذا العنوان؟

- الواقع إننى لم امكث هنا طويلا.. لقد اثرت العمل فى هذه البلدة لأكون قريبة من خالتى.

ثم طفرت الدموع من عينيها، وهى تردف قائلة:

- أما وقد ماتت، فاعتقد أن مكان العمل الملائم لفتاة مثلى هو مدينة لندن.

- أرجو عندما ترحلين إلى لندن، أن ترسلى إلى بعنوانك الجديد. وهذه هى بطاقتى.

فقالت بعد أن نظرت فى البطاقة:

- إذن فأنت لست من رجال الشرطة يا سيدى؟

- إننى اعمل لحسابى الخاص.

فوقفت ونظرت إليه برهة، ثم قالت بصوت خافت:

- هل ثمة شئ خاص فى هذه الجريمة يا سيدى؟

- اجل يا ابنتى، وسوف تعرفين كل شئ فى حينه، ونرجو أن تبذلى جهدك فى مساعدتنا إذا احتجنا إليك.

- هذا ما أرجوه يا سيدى..

وبعد لحظات، كنا فى طريق العودة إلى اندوفر.

كان مسرح الجريمة فى شارع جانبى يتفرع من الشارع العام بالبلدة، وكان دكان المسز اسكر يقع فى منتصف هذا الشارع الجانبى، فى الجهة اليمنى.

وفيما نحن ندخل هذا الشارع، رأيت بوارو ينظر فى ساعته.. وعندئذ أدركت لماذا أرجأ بزيارة مسرح الجريمة حتى هذا الوقت.. لقد أراد أن يصل إليه فى نفس الفترة المماثلة للفترة التى وقع فيها الحادث، اى فى الساعة الخامسة والنصف مساء.

وكان ثمة بعض الدكاكين المتناثرة بين بيوت الطبقة الدنيا فى ذلك الشارع الجانبى.. وكان المعتاد فى ذلك الوقت من اليوم أن يرى فيه بعض السكان، وهم عائدون من أعمالهم إلى بيوتهم، أو بعض الأطفال وهم يلعبون..

- أما عندما ذهبنا نحن، فقد كان المنظر جد مختلف. كان هناك جمع كبير من سكان البلدة الذين دفعهم الفضول إلى مسرح الجريمة، راحوا من بعيد يقفون جماعات يتبادلون الأحاديث والتعليقات على الحادث.

ولما وصلنا إلى الدكان، وجدناه صغيرا حقير المظهر، مغلقا، وقد وقف أمامه أحد رجال الشرطة.. ووقف بوارو برهة ينظر إلى اللافتة الحقيرة التى تحمل اسم (ا. اسكر)، ثم قال لى فجأة:

- هلم ندخل هذا الدكان يا هاستنج.

وشققنا طريقنا بين المجتمعين، وقدم بوارو بطاقته الخاصة لرجل الشرطة الذى أومأ برأسه وفتح باب الدكان، وسمح لنا بالدخول بين دهشة المتفرجين البالغة.

وكان الظلام فى الداخل كثيفا، فأدار الشرطى مفتاح النور.. وعلى هذا الضوء الكهربائى أخذت افحص ما حولى.

كان دكانا صغيرا حقيرا أيضا فى الداخل، على منضدة البيع بعض الصحف والمجلات الرخيصة التى يعلوها الغبار، ووراء المنصة بضعة ارفف عليها علب السجائر والحلوى والتبغ وبعض الدمى الخزفية الرخيصة، وعلى مشجب فى نهاية الدكان كان ثمة معطف من السوق القديم، ومطرف وصديرية نسائية. وكانت هذه كل بقايا ملابس المسكينة أليس اسكر.

وقال بوارو، وهو يمسك بيدى:

- هلم الى الخارج يا هاستنج، فلن نجد هنا ما يلقى اى ضوء على الحادث.

ولما عدنا إلى الشارع، وقف بوارو مترددا برهة، ثم عبرنا الطريق إلى الجانب الآخر حيث كان ثمة دكان فاكهى وخضرى فى الجهة المقابلة تماما من دكان المسز اسكر. وكان الفاكهى يعرض معظم سلعه على منصات خارج الدكان.

وراح بوارو يتحدث مع البائعة البدينة، وهو يشترى منها كمية من الخس، بينما طلبت أنا شراء رطل من الفراولة. وكان هو يقول معلقا على الحادث:

- كان الحادث فى مواجهتك تماما .. أليس كذلك؟.. اعنى مقتل المسز اسكر. لا شك انه أثار ضجة كبيرة فى بلدة صغيرة كهذه.

ويبدو ان البائعة البدينة كانت قد تعبت من كثرة الحديث عن هذا الموضوع، إذ قالت فى ضجر واضح:

- إننى لا أدرى لماذا يتجمع كل هؤلاء الناس.. ماذا يشاهدون، وعلى اى شئ يتفرجون؟

- لا شك أن الشارع أمس كان هادئا .. ولعلك لاحظت القاتل، وهو يدخل.. انه رجل طويل أشقر روسى السمت.. أو هكذا يقال.

- ما هذا؟ اهو روسى؟

- علمت أن رجال الشرطة قبضوا على رجل روسى بتهمة قتل المسز اسكر.

- اه.. حسنا جدا.. إذن فهو اجنبى غريب عن البلاد.

- كنت أظن انك لمحته، وهو يدخل دكانها!

- الواقع أننى لا ألاحظ المارة كثيرا، لأننى أكون فى مثل هذا الوقت مشغولة بالبيع.. ولكن المؤكد أننى لم أر رجلا طويلا أشقر البشرة يمر بالشارع أمس.

وهنا تدخلت أنا فى الموضوع وقلت:

- معذرة أيها السيد.. ولكننى سمعت شخصيا أن رجال الشرطة القوا القبض على رجل قصير خمرى اللون له لحية صغيرة.

واشترك فى الحديث إذن صاحب الدكان، وكان زوج البائعة، وصبى فى نحو العاشرة.. وقد قالوا الثلاثة انهم رأوا أربعة رجال قصار سمر الوجوه، ولكن ليس بينهم واحد له لحية صغيرة.. وقال الصبى انه رأى رجلا طويلا أشقر وله لحية. وبعد انصرافنا عن الدكان، قلت لبوارو فى ضيق:

- ماذا كنت تهدف من هذا اللغو الفارغ؟

- كنت أريد أن اعرف إلى اى حد يمكن أن يلاحظ هؤلاء الناس مرور رجل غريب عن البلدة بهذا الشارع.

- أما كان يمكنك أن تسألهم مباشرة؟

- لا.. إن السؤال المباشر يجعلهم يتحفظون. أما هذه الطريقة البسيطة فى تبادل الحديث، فهى التى تخرجهم عن تحفظهم وتجعلهم يتجاوبون معك ويجيبون على أسئلتك دون أن يشعروا بالخوف أو الحرج.

ثم أردف قائلا، وهو ينظر إلى كيس الفاكهة فى يدى:

– عندما تشترى نوعا من الفاكهة فى مثل هذه الظروف يا هاستنج، يجب أن تختار نوعا من الفاكهة الجافة.. انظر الآن، إن الفراولة الآن أوشكت أن تبلل ملابسك.

ولاحظت، فى استياء، إن هذه هى الحقيقة.. ومن ثم انتهزت أول فرصة وأعطيتها لغلام فى الطريق، وأضاف بوارو الخس الذى اشتراه، ثم عدنا إلى الجانب الذى يقع فيه دكان المسز اسكر حيث رأينا أن المنزل والدكان الواقعين على يمينه خاليين، ومكتوبا عليهما (للإيجار). أما على الجانب الآخر فكان ثمة منزل صغير حقير تنسدل على نوافذه الأمامية ستائر غبراء من الموسلين. وطرق بوارو باب هذا المنزل الأخير، فلم يلبث أن فتحه غلام صغير قذر السمت، فسأله بوارو عن والدته.. فأسرع إليها، وبعث بها إلينا، بينما لاذ هو فى ركن من الردهة يتأملنا فى شك وقلق.

فأقبلت سيدة حادة الملامح، متجهمة الوجه، وقالت فورا:

– لا فائدة من إضاعة وقتكم فى...

ولكن بوارو قاطعها قائلا، وهو يرفع قبعته ويحيها باحترام:

– طاب مساؤك يا سيدتى، إننى محرر بصحيفة (الايفننج فلينشر). أرجو أن تقبلى هذه الجنيهات الخمسة مقابل إعطاؤنا بعض المعلومات الخاصة لكتابة مقال عن جارتك المسز اسكر.

فانبسطت أسارير المرأة أمام الجنيهات الخمسة، وقالت:

- تفضلا بالدخول.. تفضلا.

ودخلنا غرفة صغيرة ضيقة مكتظة بالأثاث القديم، واستطعنا أن نجلس على نحو ما أمام السيدة التى قالت معتذرة:

- أنى اسفه على لهجتى الحادة التى تحدثت بها معكما فى أول الأمر. والواقع أن ربة البيت منا لا تكاد تفرغ من فتح الباب بين الحين والآخر لهذا البائع المتجول أو ذاك.. باعة المكانس الكهربائية، والمطهرات، والصابون الكيمائى، والجوارب، والروائح وما إلى هذا كله. وكلهم يتحدثون برقة ولباقة، ويحاولون أن يكتبوا الاسم ويقولون: (لكى تكونى عميلة دائمة يا مسز فاولر) وهكذا.

وانتهز بوارو فرصة التعرف باسمها، فقال بلباقة:

- حسنا يا مسز فاولر.. أرجو أن تحققى رجاءنا فى كتابة مقال عن جارتك المسكينة.

فرمقت السيدة الجنيهات الخمسة فى يد بوارو، وقالت:

- إننى أرجو هذا.. ولكننى لا اعرف كيف تكتب المقالات!

فأسرع بوارو وأكد لها أنها لن تكتب بنفسها شيئا، وإنما يكفى أن تدلى بما تعرفها عن حياة جارتها الخاصة، ثم يتولى هو صياغة المقال.

وتشجعت المسز فاولى، واندفعت تحدثنا بكل ما تعرفه عن المجنى عليها..

كانت تعيش منطوية على نفسها، ولا تميل إلى مصادقة أحد.. ولا شك انه كان لها العذر بسبب المتاعب التى عاشت فيها، والتى كان

زوجها السبب الوحيد فى إثارتها. ولكن المسز اسكر لم تكن تخشاه حقا! بل أنها كانت تستطيع، إذا شاءت، أن تملا قلبه بالفزع منها.. إلا أن هذا لم يكن يمنع المسز فاولى، من تحذير جارتها المسز اسكر من زوجها قائلة: (أخشى أن يعمد زوجك يا مسز اسكر إلى قتلك ذات يوم، فكونى دائما على حذر منه) وقد حدث ما كنت أخشاه واتنبأ به، وماتت مقتولة، دون أن اشعر أو اسمع اى شئ.

وتوقفت المسز فاولر عن الحديث برهة، فقال لها بوارو:

– هل حدث أن استلمت المسز اسكر خطابا من مجهول؟

فهزت فاولر رأسها، وقالت أنها لا تعلم شيئا عن هذا، ولا تعتقد أن المسز اسكر من النساء اللاتى يهتم أحد بإرسال خطابات بلا توقيع إليها.

وسألها بوارو قائلا:

– هل سبق أن رأيت عندها دليل برادشو للسكة الحديدية؟

فقالت فى حيرة:

– إننى لم أر مثل هذا الدليل فى حياتى.

– انه يرتب أسماء المحطات بالحروف الهجائية.

– لا يا سيدى.. لم أره من قبل، لا عند المسز اسكر أو عند غيرها.

– هل رأى أحد ذلك المدعو اسكر، وهو يدخل دكانها فى تلك الساعة التى وقعت فيها الجريمة؟

– لا شك انه كان حريصا، طبعا، حتى لا يراه أحد.

والقى بوارو عليها مزيدا من الأسئلة، ولكن المرة ظلت تعيد وتكرر ما قالته عن سوء أخلاق المستر اسكر، وعن قسوة معاملته لزوجته، وعن تحذيراتها الدائمة للزوجة.

ولما أعطاها بوارو الجنيهات الخمسة وانصرفنا، قلت لبوارو:

- أتعتقد أن هذه المعلومات المكررة التافهة تساوى هذا المبلغ؟

فهز بوارو كتفيه، وقال:

- إننا الآن كالذى يعيش فى ظلام دائم.. ولكن من يدرى؟.. فربما نجد فى النهاية بصيصا من الضوء يرشدنا إلى غايتنا.. ولعل بعض المعلومات التى تبدو لنا الآن تافهة.. تكون ذات قيمة كبيرة فى المستقبل.

ولم افهم فى تلك اللحظة ماذا يعنى بالتحديد، ولكننى لم اطلب منه التفسير أو التوضيح، لأننا التقينا عندئذ بالمفتش جلين.



الرسالة الثانية

كـان المفـتش جلين يبـدو مكتـئب السـمات.. وكان، كمـا فهمت، قد أمضى طيلة فترة ما بعد الظهر، يحـاول أن يكتب قـائمـة بجـميع الأشخاص الذين شوهدوا يدخلون دكان المسز اسكر بعد ظهر اليوم الحادى والعشرين من شهر يونية.

وسأله بوارو قائلا:

- ألم ير واحد منهم أحدا من الداخلين؟

- أوه.. بل رأوا الكثـيـرين.. رأوا ثلاثة رجـال طوال لهم نظرات مختلسة مضطربة، وأربعة رجال قصار لهم شوارب كثة، واثنين بلحيتين مهوشـتين، وثلاثة رجـال بدينين.. وكلهم أجانب، ولست أدرى لماذا لم يروا عصابة رهيبة يضع رجالها أقنعة سوداء على وجوهم شاهرين مسدساتهم؟!

فابتسم بوارو فى إشفاق، وقال:

- ألم ير أحد ذلك المدعو اسكر وهو يدخل الدكان فى ذلك الوقت؟

- لا .. لم يره أحد .. وهذا فى صالحنا طبعا، واعترف الآن أنى طلبت من حكمدار المنطقة أن يطلب الاستعانة برجال اسكتلانديارد، لان هذه الجريمة ليست محلية فى نظرى.

- إننى اتفق معك فى هذا الرأى.

- إننى متشائم جدا يا مسيو بوارو .. أحس أن هذه الجريمة ستكون حلقة أولى فى سلسلة من الجرائم المتتالية .. ولست أدرى لماذا.

وكان علينا أن نقوم بزيارة اثنين من سكان بلدة اندوفر: أحدهما المستر جيمس بارتريدج الذى كان آخر من شاهد المسز اسكر وهى لا تزال على قيد الحياة، لانه اشترى منها علبة سجائر فى الساعة الخامسة والنصف من مساء يوم الحادث.

وكان المستر بارتريدج رجل ضئيل الحجم، يعمل كاتبا فى بنك، ويضع على عينيه نظارة قراءة، ويبدو دقيقا فى كل حركاته وتصرفاته، ويقيم فى بيت صغير نظيف مرتب.

قال وهو يحملق فى بطاقة بوارو:

- آه، المسيو بوارو، من طرف المفتش جلين؟ إننى تحت أمرك يا مسيو بوارو.

- فهمت يا مستر بارتريدج انك آخر من رأى المسز اسكر، وهى على قيد الحياة.

فنظر المستر بارتريدج إلى بوارو، كما ينظر فى شيك غير مستوفى

الشروط وقال:

– هذه مسالة لا يمكن الجزم بها يا مسيو بوارو من أين لى أو لغيرى العلم بان أحدا لم يدخل لشراء شئ بعدى؟

– لو دخل أحد بعدك، لتقدم وأدلى بشهادته.

– إن بعض الناس يا مسيو بوارو ينقصهم الشعور بأداء الواجب.

– صدقت.. واعتقد انك ذهبت إلى مركز الشرطة للإدلاء بمعلوماتك متطوعا.

– نعم، طبعا.. فمجرد أن سمعت عن الحادث الأليم، بادرت إلى مركز الشرطة، وأدليت بشهادتى أملا أن ألقى بعض الضوء على غموض الحادث.

– هذه روح طيبة فعلا.. هل يمكن أن تكرر على سمعى هذه الشهادة؟

– طبعا، طبعا.. لقد كنت عائدا إلى بيتى هذا. وفى تمام الساعة الخامسة والنصف...

– معذرة يا مستر بارتريدج، كيف أمكنك تحديد هذا الوقت بالدقة؟

– كانت ساعة الكنيسة تدق النصف بعد الخامسة. فنظرت فى ساعتى حيث وجدتها متأخرة وكان هذا قبل أن ادخل دكان المسز اسكر بلحظة.

- وهل كان من عادتك أن تشترى منها بعض حاجتك؟

- أحيانا.. فان دكانها يقع فى طريقى إلى البيت. وقد اعتدت أن اشترى منها علبة سجائر بين يوم وآخر.

- هل تعرف شيئا عن المسز اسكر.. عن ماضيها أو تاريخ حياتها؟

- لا شئ تقريبا.. إننى لم اكن أتبادل معها اى حديث إلا عن الطقس أحيانا.

- اكنت تعرف أن لها زوجا سكيرا اعتاد أن يبتز منها المال بالقوة؟

- لا.. لم اكن اعرف عنها شيئا من هذا القبيل.

- انك تعرفها بالنظر.. فهل رأيت فى مظهرها ما يدل على أنها كانت غير طبيعية فى ذلك الحين؟

- لا.. بل كانت كعهدى بها تماما..

ونهض بوارو قائلا:

- شكرا يا مستر بارتريدج على هذه الإجابات.. هل أستطيع أن أجد لديك دليل ا. ب. س للسكة الحديدية، إننى أريد أن اعرف مواعيد القطارات المسافرة إلى لندن من اندوفر.

- إن الدليل على الرف الذى يقع خلفك.

وعلى ذلك الرف، وجد بوارو مجموعة من المجلات بينها دليل برادشو، والكتاب السنوى لاعمال بورصة الأوراق المالية، ودليل كيلى التجارى، ودليل الشخصيات المعروفة (هو: من هو؟).

وتناول بوارو دليل ا. ب. س للسكة الحديدية، وتظاهر بالبحث عن مواعيد بعض القطارات فيه، ثم أعاده إلى مكانه.

وكان الشخص الثانى الذى أردنا مقابلته هو المستر البرت ريدل. وكان رجلا يختلف جدا عن المستر بارتريدج. كان يعمل فى محل لطلاء المعادن.. وكان متجهم الوجه، متحفظا فى الحديث، كبير الجسم، عريض الوجه، يبدو الارتياب الطبيعى فى عينيه. وكان حين استقبلنا فى ردهة بيته قد فرغ من تناول عشائه، وراح يشرب قدحا من الشاى الأسود.

قال لنا وهو يحملق فى وجه كل منا بسخط شديد:

- لقد قلت كل ما اعرف، ولم يعد لدى المزيد من الأقوال.

وهنا أقبلت زوجته من المطبخ، وقالت:

- يحسن أن تذكر للمسيو بوارو ما لديك من أقوال يا البرت.

فصاح بها ثائرا:

- اسكتى أنت.. ألا يكفى استجواب رجال الشرطة الملاعين لى؟!

فقال بوارو برفق:

- اعتقد انك ذهبت إلى مركز الشرطة بمحض إرادتك؟

- ولماذا افعل بحق الجحيم؟ ما شأنى أنا حتى لو انطبقت السماء على الأرض؟

- إن المسألة خطيرة.. جريمة قتل.. واعتقد أن من واجب كل

مواطن أن يذكر كل ما لديه من معلومات تساعد على الوصول إلى الحقيقة.

- إن لدى اعمالى الخاصة.. وهى التى منعتنى من الذهاب إلى مركز الشرطة بمحض ارادتى.

- لقد قيل لرجال الشرطة انك شوهدت تدخل دكان المسز اسكر حوالى الساعة السادسة، ولهذا جاءوا لسؤالك فى هذا الشان. فهل اقتنعوا بأقوالك؟

- ولماذا لا يقتنعون؟

ولما هز بوارو كتفيه، قال الرجل فى تحد وعنف:

- ماذا تريد أن تقول يا هذا؟.. أن كل الناس يعلمون من هو القاتل. انه زوجها اللعين بطبيعة الحال.

- ولكن أحد لم يشاهده هناك فى فترة وقوع الجريمة، بينما شوهدت أنت..

- أتريد أن تثبت الجريمة على أيها الاجنبى؟.. أتظن أننى قتلتها لاسرق علبة سجائر أو لفافة تبغ أو مجلة؟.. أتريد أن تقول عنى، كما يقول غيرك، أننى احب منظر الدم..

ونهض الرجل مهتاجا مهددا متوعدا، ولكن زوجته قالت فى توسل:

- برت.. لا تقل شيئا كهذا.

وقال بوارو بثبات:

– هدئ نفسك يا سيدى.. إننى أريد فقط أن اعرف شيئا عن ظروف ذهابك إلى الدكان. ولست أجد اى مبرر يمنعك من أن تذكر لى هذا.

فتهالك المستر ريدل جالسا، وقال:

– ومن قال أننى ممتنع؟

– هل كانت الساعة السادسة عندما دخلت الدكان؟

– نعم.. كانت قبل السادسة بلحظات، ولكن هذا لا يهم. وكنت أريد شراء علبة سجائر، فدفعت الباب ودخلت..

– هل كان الباب مغلقا؟

– نعم.. وكنت أظنه مغلقا بالمفتاح، ولكننى وجدت من الممكن فتحه.. ففتحت مصراعه ودخلت، ولكننى لم أر أحدا، فأخذت أدق بقبضة يدى على منصة البيع، ولما لم يسمعنى أحد، انصرفت.. هذا كل ما حدث.

– كأنك لم تر الجثة المكومة وراء المنصة؟

– لا.. ان رؤيتها كانت تقتضى أن انحنى فوق المنصة لانظر إلى ما وراءها.. فلماذا افعل هذا؟

– هل كان على المنصة دليل سكة حديد؟

– اجل، وكان موضوعا بالمقلوب، ومن ثم خطر لى أن المرأة العجوز سافرت فجأة، ونسيت أن تغلق الدكان بالمفتاح.

- هل لمست الدليل أو حركته من مكانه؟

- لا، طبعا.. ولماذا افعل؟

- ألم تر أحدا ينصرف عن الدكان، وأنت متجه إليه؟

- لا.. وقد ذكرت لك كل ما اعرفه عن هذا الموضوع.

ونهض بوارو وقال وهو يهم بالانصراف:

- شكرا يا مستر ريدل.

وفى الطريق، نظر بوارو إلى ساعاته وقال:

- إذا أسرعنا فربما استطعنا أن نلحق قطار الساعة السابعة إلى لندن..

هلم إليه.

وفى مقصورة الدرجة الأولى بالقطار، قلت لبوارو:

- ما رأيك؟

- إن القاتل رجل متوسط الطول احمر الشعر، احول العين يعرج بقدمه اليمنى قليلا، ويوجد تحت لوحة كتفه اثر جرح قديم.

فهتفت قائلا: •

- ما هذا يا بوارو:

فضحك قائلا:

- ماذا تريد منى أن أقول وأنا أراك تنظر إلى متوسلا، وكأنما

ترجونى أن اخرج لك القاتل على طريقة شرلوك هولمز؟ الحقيقة إننى لا اعرف شيئا عن القاتل.. لا عن شكله، ولا عن محل إقامته، ولا أدرى كيف سيمكن القبض عليه.

- لو انه ترك وراءه أثرا فقط؟

- لقد ترك وراءه دليل السكك الحديدية؟

- أتظن انه تركه وراءه خطا؟

- لا، طبعا.. والدليل على ذلك بصمات الأصابع.

- ولكنه لم يترك على الدليل اى بصمات.

- وهذا ما يجعلنى أؤمن انه تركه عامدا. فنحن فى شهر يونية، والحر شديد، وليس من المعقول أن يسير رجل وفى يديه قفازات. وما دام لم يكن مرتديا قفازات، فلابد أن يكون قد ترك عليه بصمات أصابعه وهو يحمله. ولكننا لم نجد بصمات أصابع، فمعنى هذا انه حرص على مسح كل ما على الدليل من بصمات أصابع. ولو كان الذى ترك هذا الدليل رجلا بريئا، لما اهتم من مسح بصمات الأصابع من فوقه.. ولكن لماذا تركه القاتل وراءه؟.. هذا هو السؤال.

- ألا يمكن أن نستدل بشئ بسيط عن هذا الطريق؟

- لا أظن يا هاستنج.. إن المجرم كما يبدو شخص يعتز بذكائه الخارق، ومثل هذا الشخص لا يترك وراءه سلسلة من الدلائل والآثار التى تنم عليه..

- إذن فدليل ا. ب. س لا قيمة له فى هذا الأمر.

فهز بوارو كتفيه وقال:

– إن له قيمة من الوجهة الاستنتاجية فقط.. فالقاتل شخص ينوى أن يبقى مجهولاً باسمه، ولكنه مع هذا أراد أن يلقى بعض الضوء على شخصيته من حيث لم يشأ.. فنحن من جهة لا نعرف عنه شيئا، ومن جهة أخرى نعرف عنه الكثير. فأنا مثلا أرى أن شخصيته بدأت تتكون فى غموض امامى.. انه رجل يكتب بخط واضح جيد.. ويستعمل فى رسائله نوعا من الورق الجيد، وفى اشد الحاجة للتعبير عن شخصيته. إننى أراه فى طفولته، طفلا مهملا، لا يهتم بأمره أحد، وأراه فى شبابه ينمو وهو يحس انه اقل شأنا من غيره، وبأنه مظلوم من الناس ومن المجتمع. ومن ثم أرى ذلك الحافز الداخلى. الحافز الذى يدفعه عن كيانه وشخصيته، لتوجيه الانتباه إلى شخصه. وظل هذا الحافز يقوى ويشتد، ولكن الظروف كانت تحطمه وتكبته بقسوة وعنف، وتضيف المزيد من الشعور بالإهانة فى نفسه. وهكذا انتهى به الأمر إلى هذا الطريق الرهيب للتعبير عن ذاته.

فقلت معترضا:

– هذا كله مجرد استنتاج.. انه لا يفيد فى الكشف عن غموض الجريمة.

– انك تفضل دلائل أخرى.. طرف عود ثقاب، رماد سيجارة، أثار حذاء بمسامير، خيط حريرى وما إلى هذه الدلائل التى لم يعد المجرمون المحدثون يتركونها وراءهم، ولكن يمكننا أن نسال أنفسنا: لماذا ترك وراءه دليل ا. ب. س للسكك الحديدية؟ ولماذا قتل المسز

اسكر بالذات؟ ولماذا اتخذ بلدة اندوفر مسرحا لجريمته؟.. ثم الرسالة المجهولة التوقيع، لماذا أرسلها إلى أنا بالذات؟.. كل هذه الأسئلة يمكن أن تلقى بعض الضوء على كل هذه الغوامض كلها.

وبعد برهة صمت قلت:

- وماذا تنوى أن نفعل بعد هذا؟

- لا شئ..

- كيف هذا؟..

- ماذا تريدنى أن افعل؟ إننى لست ساحرا ولا قارئ غيب. وكل ما يمكن أن أقوم أنا به فى هذا السبيل، سيقوم به رجال المباحث على وجه اكمل.

ثم أردف بعد برهة صمت أخرى.

- الشئ الوحيد امامى هو الانتظار.. انتظار الرسالة الثانية.

فحملقت فيه مندهشا، وقلت:

- أتتوقع أن تأتى إليك رسالة أخرى؟

- بكل تأكيد يا عزيزى.. إن نجاح المجرم فى الإفلات من نتائج الجريمة الأولى سيغريه بارتكاب جريمة أخرى.

وهززت كتفى فى شك..

ومضت الأيام، وحفظ التحقيق فى قضية مصرع المسز اسكر، وافرج عن زوجها.. ولم يشأ رجال البوليس، بناء على توصية بوارو، أن

يشيروا أثناء التحقيق إلى الدليل ا. ب. س للسكك الحديدية. وعلى الجملة لم تلفت الجريمة اهتمام أحد خارج بلدة اندوفر.. بل أن اهالى البلدة أنفسهم لم يلبثوا أن بداوا ينسون الحادث بعد أيام معدودة.

واعترف أننى، شخصيا، كنت على وشك نسيان الحادث أيضا، لولا أننى تذكرته بقوة فى صباح اليوم الخامس والعشرون من شهر يولية.

كنت قبل ذلك اليوم لم أر بوارو مدة يومين أو ثلاثة، حيث شغلت ببعض المهام فى مدينة يوركشير. ولما عدت يوم الاثنين بعد الظهر، رأيت بوارو يصعد إلى المسكن بعد الساعة السادسة وهو يحمل خطابا وجده فى صندوق بريده، وما كاد أن يفتحه، حتى هتف قائلا:

- لقد وصلت..

- ماذا تعنى؟

- الرسالة الثانية..

ورحت أحملق إليه فى ذهول، بينما دفع بالرسالة إلى وأراد أن أقرأها:

(عزيزى المستر بوارو.. حسنا.. ما رأيك؟.. لقد انتصرت عليك، وجعلتك تقف حائرا عاجزا أمام جريمة اندوفر. ولكن المباراة بينى وبينك لا تزال فى أولها. والان دعنى الفت نظرك إلى مصيف بكسهيل فى اليوم الخامس والعشرون من هذا الشهر.. يا لها من مباراة رائعة مسلية يا مستر بوارو!).

المخلص ا. ب. س

وهتفت قائلا بعد أن أفرغت من قراءة الرسالة:

- يا للسماء!. هل ينوى هذا المجنون أن يرتكب جريمة أخرى حقا؟

- طبعا يا هاستنج.. ألم اقل لك هذا؟

- ولكن الأمر رهيب..

- اجل.. رهيب!

- إننا نواجه مجنونا دموى المزاج.

- بكل تأكيد.

واعدت إليه الرسالة وأنا ارتعد. وكان هدوؤه قد اثارنى.. ولكننى لم البث أن تبينت أن الانفعالات الشديدة لن تجدى فى أمر خطير كهذا.

وفى صباح اليوم التالى، عقد كبار رجال المباحث مؤتمرا خطيرا شهده المفتش جاب ومساعده المفتش كروم، وحكمدار منطقة سسكس ونائبه كارتر، والمفتش جلين من اندوفر، وعالم التحاليل المشهور الدكتور ثومبسون. وقد شهدت مع بوارو هذا المؤتمر الخطير.

واستعرض الجميع الموضوع من كل جوانبه، وحرص الدكتور ثومبسون، وكان كهلا لطيفا، على استخدام العبارات المبسطة فى تحليلاته العلمية، أما نائب حكمدار اسكتلانديارد فقد قال:

- لم يعد لدينا شك فى أن الرسالتين مكتوبتان بخط واحد، وان كاتبهما شخص واحد.

- ويمكننا أن نقول، عن يقين، أن كاتب هاتين الرسالتين هو مرتكب جريمة اندوفر.

- تماما... ولدينا الآن إنذار صريح بارتكاب جريمة ثانية فى اليوم الخامس والعشرون من شهر يولية وبمصيف بكسهيل.. اى أن الجريمة سوف تحدث بعد غد إذا لم نضع أيدينا على المجرم.. فما هى الخطوات الواجب اتخاذها؟

والتفت الحكمدار سسكسس إلى نائبه مستفهما، وقال:

- ما رأيك يا كارتر؟

وهز نائب الحكمدار رأسه فى حيرة، وقال:

- إن الأمر جد عسير يا سيدى.. فليس هناك اى إشارة تدل على من سوف يكون الضحية.. بل لا نعرف هل ستكون امرأة هذه المرة أم رجلا. وإذا تحدثت بصراحة، فأنا لا أدرى ماذا يمكن للإنسان أن يفعل فى هذه الظروف.

وغمغم بوارو قائلا:

- إننى اقترح.. أعنى أظن.

والتفت إليه الجميع، بينما استطرد هو قائلا:

- أظن أن الضحية الثانية سوف يبدأ اسمها بالحرف (ب).

فقال حكمدار اسكتلانديارد فى شك:

- هذا رأى لا بأس به.

وقال الدكتور ثومبسون مفكرا:

– عقدة ا، ب؟

– أظن أن الأمر مجرد احتمال، لا اكثر.. وقد خطر لى هذا الاحتمال عندما قرأت اسم أليس اسكر أو على الأصح (ا. اسكر) على لافتة دكانها. ولما ذكر المجرم المجهول فى رسالته التالية أن الضحية سيبدأ بالحرف (ب) حسب الحروف الأبجدية أو الهجائية فى أسماء البلاد والضحايا..

فقال الدكتور ثومبسون:

– هذا محتمل جدا.. ومن ناحية أخرى قد يكون اسم اسكر وبلدة اندوفر مجرد مصادفة.. وفى هذه الحالة ربما تكون الضحية التالية امرأة عجوز لها دكان صغير فى بكسهيل. لا تنسوا أننا نتعامل مع رجل مجنون لا نعرف بعد دوافعه على ارتكاب هذه الجرائم.

فسأله المفتش جاب قائلا:

– وهل للرجل المجنون دوافع تبرر ارتكابه جرائم القتل؟

– طبعا له يا سيدى.. بل أن المجنون قد يتشبث بدوافع يعتقد تماما أنها منطقية ومعقولة وواجبة التنفيذ.. فقد يعتقد واحد منهم انه مبعوث العناية الأهلية لقتل جميع القساوسة، أو الأطباء، أو النساء العجائز اللاتى يمتلكن دكاكين صغيرة لبيع السجائر والحلوى. ولهذا لا يجوز أن نجرى وراء نظرية الحروف الهجائية على أنها هى النظرية الصحيحة تماما.. فربما كان اسم بكسهيل بعد اندوفر مجرد مصادفة.

وهنا قال حكمدار سسكس لنائبه كارتر:

– على الأقل يحسن أن نكون على حذر من هذه الناحية، وان نتخذ بعض الاحتياطات الممكنة، وان ندون الأسماء التى تبدأ بحرف الباء فى ذلك المصيف، لاسيما أسماء النسوة العجائز اللاتى يبعن السجائر والحلوى فى متاجر صغيرة. ولا أظن أن فى مقدورنا أن نفعل اكثر من هذا، إلا أن نراقب الأجانب فى تلك البلدة بصفة خاصة.

وغمغم كارتر فى ضيق قائلا:

– لقد بدأت العطلة المدرسية السنوية، ولا شك أن مثل هذا المصيف سيكون مزدحما بالطلبة وأهاليهم.

فقال رئيسه فى حدة:

– علينا أن نفعل كل ما فى وسعنا أن نفعله.

وقال المفتش جلين بدوره:

– لسوف أضع رقابة حازمة على كل شخص كانت له علاقة بجريمة اندوفر. واهم هؤلاء جميعا هم: اسكر والرجلان بارتريدج وريدل. فإذا ظهر أن أحدهم سوف يغادر اندوفر، فسوف يكون أحد رجالنا وراءه.

وانفض المؤتمر بعد تقديم بعض المقترحات الأخرى التى لا قيمة لها..

وقلت لبوارو ونحن نسير على شاطئ النهر:

- بوارو.. لابد أن نمنع وقوع هذه الجريمة الثانية بأى شكل.

فرفع بوارو إلى وجها مرهقا، وقال:

- إن رجلا مجنونا واحدا قد يمكن أن يثير الفزع فى قلب مدينة مليئة بالعقلاء.. أتذكر سلسلة جرائم جاك الجزار؟

- كانت مفزعة!

- الجنون يا هاستنج شئ رهيب.. إننى خائف جدا.



الجريمة الثانية

ما زلت اذكر ساعة يقظتى من النوم
فى صباح اليوم الخامس والعشرون
من شهر يولية.. واعتقد ان الساعة
كانت النصف بعد السابعة.

كان بوارو واقفا بجانب فراشى يهزنى برفق من كتفى. وما أن فتحت عينى والقيت نظرة على وجهه، حتى تنبهت من نومى تماما.

قلت وانا انتصب جالسا:

- ماذا حدث؟

فقال ببساطة تخفى وراءها انفعال مكبوت:

- لقد وقع ما كنت اخشاه.

فهتفت قائلا:

- ماذا؟.. ولكننا فى الخامس والعشرين.

- لقد وقعت الجريمة فى الواحدة بعد منتصف الليل، اى فى الساعة الاولى من يوم الخامس والعشرين.. هذا اليوم.

– فوثبت من فراشى، واغتسلت بسرعة.. وراح بوارو يحدثنى بما سمعه فى التليفون وانا ارتدى ملابسى، وقال:

- وجدت جثة فتاة شابة على شاطئ مصيف بكسهيل.. وعرف انها لفتاة تدعى بيتى بارنارد (واسمها الكامل اليزابيث بارنارد)، وكانت تعمل مضيفة فى احد المقاهى، وتعيش مع والديها فى بيت صغير من طابق واحد مبنى حديثا. ويقول الطبيب الذى فحص الجثة ان الوفاة حدثت فيما بين الحادية عشرة والنصف والواحدة صباحا.

فسألته بسرعة وانا اضع الصابون على ذقنى:

– وهل ايقن رجال الشرطة ان هذه هى الجريمة التى كنا نتوقع حدوثها؟

– عثروا تحت جثة الفتاة على دليل برادشو للسكك الحديدية.

فقلت وانا أرتعد:

– ان هذا أمر رهيب!..

– تمالك نفسك يا هاستنج.. فانا لا اريد مأساة اخرى فى مسكنى هذا.

ومسحت قطرات الدماء التى انبعثت من جرح فى وجهى اثناء الحلاقة وقلت:

– وماذا تنوى ان تفعل؟

– لسوف تأتى سيارة الشرطة بعد لحظات لنقلنا الى مسرح

الجريمة.

وفى خلال ربع ساعة، كانت سيارة الشرطة السريعة تنطلق بنا خارج مدينة لندن.

وكان معنا المفتش كروم الذى شهد المؤتمر فى اليوم الاسبق، والذى عهد اليه بالتحقيق فى هذا الحادث.

وكان كروم يختلف كثيرا عن المفتش جاب.. فهو اصغر سنا، واميل الى الصمت والى الترفع عمن حوله، واكثر علما وثقافة، وكان يبدو لى انه شديد الاعجاب بنفسه، لاسيما بعد ان نال وسام الكفاءة الممتازة عقب قضائه على عصابة خطف الاطفال قبل ان يتسع نطاق اعمالها.

والواضح انه كان الشخص المناسب لتولى هذه المهمة الخطيرة.

ولكن عيبه الوحيد انه يدرك هذه الحقيقة، فيزهو فى اعماق نفسه، ويعامل الذين حوله كانهم اطفال صغار.

قال لبوارو بلهجة الرئيس المترفع الذى يتحدث الى انسان بسيط:

- تحدثت طويلا مع الدكتور ثومبسون، وهو كما نعرف، شديد الاهتمام بهذا النوع من الجريمة (سلسلة) أو (الجريمة التى ترتكب على حلقات) ويعتبرها نموذجا على الاضطراب العقلى الذى يتميز بطابع معين. وقد افاض الدكتور فى شرح نظريته طويلا، وضرب المثل عليها باخر قضية من القضايا التى كانت فى عهدتى. ولعلك قرأت عنها، انها قضية مابل هومر، الطالبة فى مدرسة مازويل هل.

ثم راح يفيض فى الحديث عن هذه الجريمة الغامضة التى استطاع

ان يكشف غموضها ويقبض على مرتكبيها فى اسرع وقت.

وبعد ان سادت بيننا فترة صمت، قال كروم بعدما تجاوزنا محطة نيو كروسى:

- اذا اردت ان تستفسر عن شئ عن هذه الجريمة، فيمكنك ان تسألنى.

- هل وصلتكم بعض التفاصيل عن شكل الفتاة؟ وعن بعض ظروفها الاجتماعية؟

- كانت فى الثالثة والعشرين من عمرها، وتعمل فى مقهى جنجركات.

- ترى هل كانت جميلة؟

فرفع كروم حاجبيه، ثم قال فى اقتضاب:

- هذا ما لم نعرفه بعد.

وارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتى بوارو، وهو يقول:

- اترى ان هذا لا اهمية له! حسنا، اننى ارى لجمال الفتاة فى مثل هذه الظروف الاهمية الاولى.

ويبدو ان المفتش كروم قرر ان يضع للمحادثة نهاية، اذ قال ببرود:

- اه، نعم..

وظل الصمت مخيما حتى بلغنا بلدة سيفن اوك، عندما قال بوارو:

- هل عرفت، على نحو ما، كيف خنقت الفتاة، وباى شئ؟

فاجاب كروم بايجاز:

- خنقت بحزامها.. وهو حزام ثوبها الذى كانت ترتديه.. حزام مفتول متين، معقد.

فاتسعت عينا بوارو، وقال:

- اها! لقد استطعنا اخيرا ان نعرف شيئا محددا.

- اننى لا ارى فى هذا ما يدل على شئ معين.

- اعتقد انه يدل على عقلية المجرم الوحشية المضطربة.

وساد الصمت على بقية الرحلة..

واستقبلنا فى بكسهيل نائب حكمدار سسكس، المفتش كارتر، وكان معه شاب وسيم باسم هو المفتش كيسلى الذى عهد اليه بمعاونة المفتش كروم فى مهمته.

وقال المفتش كارتر:

- اعتقد انك تفضل القيام بتحرياتك الخاصة يا كروم. ولهذا ساكتفى بذكر الخطوط العامة للجريمة، لكى اترك لك حرية البحث والتحقيق على طريقتك الخاصة.

فقال كروم:

- شكرا يا سيدى..

- لقد ابلغنا النبأ الى والديها، وكانت الصدمة، بطبيعة الحال، قاسية. وقد تركتهما حتى يستردا هدوئهما، وعليك ان تبدأ بسؤالهما

الان اذا شئت.

وسأل بوارو:

- هل هناك افراد اخرون يهمهم الامر فى محيط اسرتها؟

- ان لها اختا تعمل على الالة الكاتبة فى لندن. وهناك شاب يقال انه خطيبها وانها كانت على موعد للخروج معه أمس.

وسأل كروم قائلا:

- هل استطعتم ان تجدوا شيئا جديدا من دليل السكك الحديدية الذى وجد تحت الجثة؟

فاشار نائب الحكمدار الى منضدة فى غرفته وقال:

- انه على هذه المنضدة، ولم نجد عليه اية اثار لبصمات اصابع، وهو دليل جديد.. وقد وجدناه مفتوحا على الصفحة التى فيها اسم بكسهيل، ويبدو ان المجرم اشتراه من مكان بعيد عن هنا، لاننا سألنا جميع اصحاب المكتبات الموجودة فى المنطقة.

- ومن الذى اكتشف الجثة يا سيدى؟

- ضابط متقاعد برتبة كولونيل.. وقد اعتاد الخروج مبكرا فى السادسة كل يوم مصطحبا كلبه.. لاستنشاق هواء الصبح النقى.. وبينما هو يسير على الشاطئ فى اتجاه بلاج كورين انطلق كلبه فجاة، وراح يتشمم شيئا على الشاطئ.. فلما تبعه صاحبه، شاهد الجثة، فاسرع، دون ان يلمس شيئا، لابلاغ الشرطة بالامر.

– وتحدد وقت الوفاة بمنتصف الليلة الماضية.

– نعم، فيما بين الحادية عشرة والنصف والواحدة صباحا.. هذا مؤكد، ويبدو ان مجرمنا المجنون مصر على ان يكون عند وعده. وهكذا ارتكب جريمته فى اللحظات الاولى من اليوم الخامس والعشرين كما وعد.

فاومأ كروم برأسه، وقال:

– نعم.. هذه عقلية مختلة حقا.. اليس ثمة تفاصيل اخرى؟ الم ير احد شيئا قد يفيد فى التحقيق؟

– لا شئ حتى الان، ولكننا لازلنا فى ساعة مبكرة، واكبر ظنى ان كل وأحد شاهد أمس شخصا يسير مع فتاة فى ثوب ابيض، سوف يأتى ويدلى الينا باقواله. واعتقد ان عدد الفتيات ذوات الملابس البيضاء اللاتى سرن أمس مع رجال أو شبان لا يقل عن خمسمائة، وعلى هذا سيكون عدد الشهود ضخما.

فقال كروم:

– حسنا يا سيدى، يحسن أن أبدا عملى الان، وهناك بيت الفتاة، والمقهى الذى كانت تعمل فيه، وسأذهب الى الاثنين، بادئا بالمقهى.

وتساءل نائب الحكمدار قائلا، وهو يلتفت الى بوارو:

– وماذا عن السيد بوارو؟

فقال هذا وهو ينحنى برأسه للمفتش كروم:

– يسرنى ان اذهب معه.

ولاح لى ان كروم لم يعجبه هذا .. اما المفتش الشاب كيسلى الذى لم يكن رأى بوارو من قبل، فقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة.

وقال كروم:

- وماذا عن الحزام الذى كان اداة القتل؟ ان المسيو بوارو يعتقد ان له دلالة كبيرة، ولا شك انه يريد ان يراه.

فقال بوارو بسرعة:

- لا .. لا .. يبدو انك اخطأت فهم ما أقصد.

وقال المفتش كارتر:

- انك لا تستطيع ان تجد فى هذا الحزام ما يفيد التحقيق.. انه ليس حزاما من الجلد الذى قد تكون عليه بصمات اصابع، وانما هو حزام من الحرير المفتول الذى يصلح تماما لمثل هذا الغرض.

وارتعدت مرة اخرى، بينما قال كروم:

- حسنا... هلم الى العمل.

وبدأنا اولا بزيارة مقهى جنجركات الذى يقع فى مواجهة البحر، وكان من المقاهى النموذجية الصغيرة التى تكثر فى المصايف حيث يشرب فيها الرواد القهوة والشاى والمرطبات، أو يتناولون بعض الوجبات الخفيفة: وكان بعض الرواد المفكرين قد جلسوا الى موائدهم يشربون قهوة الصباح، ومن ثم اسرعت مديرته وادخلتنا الى غرفة خاصة حتى لا تلفت الينا الانظار.

وقال لها المفتش كروم متسائلا:

– المس.. ماريون؟

فقالت مديرة الفندق بصوت ناعم يشوبه الحزن:

– أجل.. أجل، هذا هو اسمى، ان ما حدث امر رهيب مزعج، اخشى ان يكون له اثر سيئ على العمل هنا.

وكانت المس ماريون سيدة فى نحو الاربعين من عمرها، نحيفة جدا، وفى حالة اضطراب عصبى تدل عليه حركات اصابعها التى كانت تتقبض وتتبسط بدون توقف.

وقال لها المفتش كيسلى مشجعا:

– بالعكس يا مس ماريون.. ان ما حدث سيدفع الكثيرين للحضور الى هذا المقهى بالذات، بدافع من الفضول.

– اه، هذا محتمل.. ولكنه شئ منفر، مزعج، انه يدل على قسوة الطبيعة البشرية.

ولكن وميض السرور بالرواج المنتظر كان واضحا فى عينيها..

وسألها المفتش كروم قائلا:

– ماذا يمكن ان تحدثينى به عن المجنى عليها يا مس ماريون؟

– لا شئ.. لا شئ مطلقا.

– منذ متى وهى تعمل هنا؟

– منذ الصيف الماضى.

- هل كانت راضية عن عملها؟

- نعم.. كانت مضيفة بارعة، وسريعة فى تقديم الطلبات.

وسألها بوارو قائلا:

- هل كانت جميلة؟

ورمقت المس ماريون بوارو بنظرة، وكان لسان حالها يقول:

(يا لوقاحتكم ايها الاجانب).. ثم قالت:

- كانت وسيمة.. لطيفة الشكل.

وسألها كروم قائلا:

- متى انصرفت عن عملها فى الليلة الماضية؟

- فى الساعة الثامنة مساء، اننا نغلق المقهى فى مثل هذا الوقت، لاننا لا نقدم وجبة العشاء لاحد.

- الم تذكر لك كيف كانت تنوى أن تقضى سهرتها؟

فقالت المس ماريون بلهجة التأكيد:

- طبعا لا.. ان علاقتنا الخاصة لم تصل الى هذا الحد.

- الم يحضر احد للخروج معها، أو للسؤال عنها؟

- لا...

- هل كانت فى حالتها الطبيعية؟ أعنى ألم يبد عليها اضطراب أو انفعالات نفسية معينة؟

فقالت المس ماريون فى حذر:

– اننى لا اعرف على وجه التحديد.

– كم عدد المضيفات العاملات فى هذا المقهى؟

– اثنتان بصفة دائمة، واثنتان بصفة احتياطية ابتداء من اليوم العشرين من يولية حتى اخر اغسطس.

– وهل كانت بيتى بارنارد مضيفة احتياطية؟

– لا.. بل كانت مضيفة اصلية.

– وماذا عن الاخرى؟

– اتعنى المس هيلى؟.. انها فتاة لطيفة.

– هل كانت هى وبيتى بارنارد صديقتين؟

– هذا ما لا اجزم به.

– هل يمكننا اذن ان نتحدث مع المس هيلى؟

– الان؟

– اذا امكن.

فنهضت المس ماريون قائلة:

– سابعث بها اليكم، وارجو الا تحتجزوها طويلا، لان رواد المقهى يكثرون فى هذه الساعة.

وبعد لحظات اقبلت فتاة ممتلأة الجسم، سوداء الشعر، متوجهة

الوجه بانفعالات، لاهثة الانفاس وهى تقول:

- لقد ارسلتنى المس ماريون.

- انت المس هيلى؟

- نعم.. انا.

- اكنت تعرفين بيتى بارنارد؟

- اوه، طبعا.. اليس ما حدث لها رهيبا؟.. اننى لا اكاد اصدق ما حدث، لا اصدق ان بيتى التى كانت أمس متوقدة بالحياة تصبح اليوم جثة هامدة.. اننى فى حلم مزعج.

وسالها المفتش كروم قائلا: هل كانت علاقتك بها وطيدة؟

- كانت اقدم منى فى العمل هنا، لانى بدأت عملى فى مارس الماضى. ورأيى عنها انها كانت فتاة لطيفة هادئة، لا تميل كثيرا الى الضحك والمزاح. ولكن هذا لا يعنى انها كانت ثقيلة الظل أو باردة العواطف. وانما اقصد انها كانت متحفظة فى علاقاتها مع زميلاتها هنا.

وبعد حديث طويل، فهمنا من المس هيلى انها لم تكن صديقة خاصة الى المجنى عليها، وانها، اى بيتى بارنارد، كانت تتبادل الحب مع شاب يشتغل كاتبا فى مؤسسة لتأجير المساكن والمنازل المفروشة بالقرب من المحطة، وان الشاب وسيم تتمناه كل فتاة.

وبعد انصرافها تحدثنا مع المضيفتين الاحتياطيتين، ولكننا لم نخرج من حديثنا معهما باى جديد.

مزيد من الغموض

كانا والدا بيتى بارنارد يعيشان فى فيلا صغيرة، تقع بين خمسين مسكنا مشابها لها، مشيدة فى ضاحية المصيف. وكان الوالد، المستر بارنارد، رجلا كبير الجسم، حائر السمات، فى نحو الخامسة والخمسين من عمره، ويلوح انه رآنا مقبلين، فوقف ينتظرنا عند مدخل مسكنه.

وقال بعد ان حيانا بعد هبوطنا من السيارة:

- تفضلوا بالدخول ايها السادة.

واخذ المفتش كيسلى يقدمنا اليه الواحد بعد الاخر، حتى اذا علم الوالد ان المفتش كروم من رجال اسكتلانديارد، قال بحماس:

- هذا شئ طيب جدا .. نعم.. يجب ان تبذل اسكتلانديارد جهدها للقضاء على ذلك المجنون الذى قتل طفلتى.

واختلج وجهه بالالم الممض، فلم يتم عبارته.

وفى غرفة الاستقبال، قال:

- لا ادرى هل ستستطيع زوجتى المسكينة ان تحضر لاستقبالكم او لا؟.. فالواقع ان الصدمة هدت كيانها.

ولكن زوجته استطاعت بعد فترة وجيزة ان تحضر، وهى تحاول جاهدة ان تسيطر على نفسها فلا تستأنف البكاء.. وكانت عيناها المتورمتان تدلان على كثرة الدموع الحارة التى ذرفتها طيلة الليل.

قال زوجها وهو يربت على كتفها، ويهيئ لها مقعدا تجلس عليه:

- لقد كان نائب الحكمدار شفيقا بنا.. ابى ان يسألنا عن شئ بعد ان ابلغنا النبا، ولا شك انه اراد ان يتركنا بضع ساعات نسترد فيها بعض هدوئنا.

وغمغمت المسز بارنارد بصوت كله الدموع:

- انه لامر فظيع.. انها قسوة مريرة.. قسوة ليس لها مثيل.

وقال المفتش كروم:

- ان الامر فظيع حقا يا سيدتى.. ولهذا ارجو ان نعرف كل ما يمكن من الحقائق حتى نقبض على القاتل فى اسرع وقت.

وأوما المستر بارنارد موافقا، بينما اردف كروم قائلا:

- كانت بيتى تقيم معكما هنا كما فهمت، وكانت تشتغل مضيفة فى مقهى جنجركات؟

– اجل..

– وبيتكم هذا جديد.. اليس كذلك؟.. اين كنتم تقيمون من قبل؟

– كنت اعمل بتجارة الحديد فى مدينة كنجتون، واعتزلت العمل منذ عامين.. وكنت ارجو دائما ان اقضى بقية عمرى فى بيت على شاطئ البحر.

– ان لك ابنتين؟

– اجل.. الكبرى تعمل فى مكتب لندن.

– الم تنزعج حينما تأخرت ابنتك عن الحضور أمس؟

فقالت المسز بارنارد بصوتها الباكى:

– اننا لم نكن نعرف انها تأخرت، فنحن، الوالد وانا، ننام عادة فى ساعة مبكرة.. ننام فى الساعة التاسعة مساء. ولهذا لم نعرف ان بيتى تاخرت فى الحضور الا بعد ان جاء رجال الشرطة.

وتهدج صوت الام، وتوقفت عن اتمام الحديث.. فقال كروم:

– هل كان من عادة ابنتك ان.. ان تتاخر فى العودة الى البيت؟

فقال الوالد:

– انت تعرف كيف تتصرف الفتيات فى هذا الزمن يا سيدى المفتش.. انهن يرفضن القيود ويتمادين فى التحرر من رقابة الاباء. ولكن بيتى، بوجه عام، كانت لا تتأخر عن الحادية عشرة مساء.

– وكيف كانت تدخل البيت؟ هل هناك من يفتح لها الباب؟

- لا .. كنا نضع لها المفتاح تحت مشاية الباب.

- يقولون ان ابنتك.. مخطوبة لشاب؟!

- انها لم تكن مخطوبة رسميا، ولكن علاقتها به كانت مقدمة للخطبة. وهو يدعى دونالد فريزر.. شاب لطيف مستقيم، ولا شك انه سيحزن اشد الحزن..

- انه يعمل كاتبا فى مؤسسة لتأجير المنازل؟!

- اجل.. اجل.. مؤسسة كورت وبرنسكيل.

- هل كان معتادا ان يلتقى بابنتك كل ليلة بعد ان يفرغا من العمل؟

- لا .. ليس كل ليلة .. مرة او مرتين فى الاسبوع فقط.

- الم تعرف ما ان كانت تنوى مقابلته فى الليلة الماضية ام لا؟

- انها لم تقل لنا شيئا عن هذا .. ولم تكن بيتى تكثر الحديث عن شئونها الخاصة معنا او مع غيرنا، ولكنها فى جملتها كانت فتاة طيبة مستقيمة، اوه.. اننى لا اصدق.. لا اصدق.

- تمالك نفسك يا مستر بارنارد.

- اننى اتمنى لو استطيع ان اضحى بحياتى لاعاونكم فى القبض على ذلك المجرم. لقد كانت بيتى فتاة مرحة ضاحكة مقبلة على الحياة كالطائر الغريد، ولا اذكر انها اساءت الى احد او ارتكبت شيئا تستحق اللوم عليه.. انها لا تستحق هذه الميتة.. لست ادرى لماذا قتلها ذلك المجرم المجنون.. لا ادرى.. اطلاقا.

فقال كروم مواسيا:

- تأكد يا مستر بارنارد اننا لن نستريح حتى نضع ايدينا على ذلك المجرم. والان احب ان القى نظرة على غرفة بيتى الخاصة، اذ ربما نجد بين اوراقها او رسائلها ما ينير لنا السبيل.

فنهض المستر بارنارد وقال:

- تفضلوا معى..

ومضى اولا وتبعه المفتش كروم، ثم المفتش كيسلى، ثم بوارو، واخيرا انا.

وتوقفت قبل الوصول الى غرفة بيتى لاحكم رباط حذائى.

وعندئذ سمعت سيارة مأجورة تقف امام باب المسكن، فنظرت من النافذة فرأيت فتاة فى نحو الخامسة والعشرين تقفز منها، وتدفع الاجر للسائق، ثم تدخل البيت حاملة حقيبة سفر صغيرة فى يدها. وما كادت ترانى حتى تسمرت فى مكانها وتمتمت قائلة:

- من انت؟

وهبطت الدرجات القليلة التى تفصلنا، وانا فى حيرة من امرى.. اذ لم اكن ادرى هل اذكر لها اسمى او اكتفى بالقول باننى من رجال الشرطة.. واراحتنى هى بقولها:

- اه.. استطيع ان استنتج من انت.

ورفعت قبعتها البيضاء الصغيرة، وامعنت النظر الى وجهها الذى لم

يكن بالغ الجمال وان لم يخل من الجاذبية.. وقلت لها:

- انك المس بارنارد.. اليس كذلك؟

- اجل.. ميجان بارنارد.. انك من رجال المباحث.. اليس كذلك؟

- الواقع اننى..

فقاطعتنى قائلة:

- لا اظن ان لدى ما اقوله لك، فقد كانت اختى فتاة طيبة مستقيمة، ليس لها اى اتصال بالرجال.. طاب صباحك.

وارسلت ضحكة قصيرة تنم عن التحدى، واردفت قائلة:

- ان هذه هى العبارات التقليدية التى تقال فى مثل هذه المناسبة.. اليس كذلك؟

- اننى لست مندوبا صحفيا اذا كان هذا ما ظننت.

فتلفتت حولها وقالت:

- حسنا.. من انت اذن؟ اين ابى وامى؟

- ان اباك مع رجال المباحث فى غرفة اختك الخاصة.

وارتسم التردد على وجه الفتاة برهة، ثم اذا هى تقول فجاة:

- تعال معى..

وتبعتها الى غرفة صغيرة بجوار المطبخ، وفيما انا احاول اغلاق الباب، اذا بوارو ينفلت داخلا ويغلقه وراءه، وهو يقول بسرعة منحنيا

للفتاة: المس بارنارد كما اظن؟

وقلت لها انا:

– هذا هو المسيو هريكول بوارو المخبر السرى الخاص.

وقالت الفتاة:

– سمعت عنك يا سيدى.. يقولون انك بارع فى الكشف عن الجرائم المعقدة التى يعجز رجال اسكتلانديارد عن حلها.

– انهم يبالغون يا انستى...

وجلست الفتاة على حافة مائدة فى وسط الغرفة، وتناولت من علبة سجائرها واحدة وضعتها فى جانب فمها واشعلتها، ثم قالت وهى ترسل سحائب الدخان من شفتيها:

– اننى لا افهم لماذا يهتم المسيو بوارو بجريمة عادية كهذه؟

فقال بوارو:

– ان الذى لا تفهمينه يا انستى، والذى لا افهمه انا، قد يملأ مجلدات ضخمة.. ولكن هناك اشياء يمكن ان يفهمها اى انسان.

– مثل ماذا؟..

– مثل الموت الذى يجعل الاحياء لا يتحدثون عن الموتى الا بالخير، مع ان هذا قد لا يكون من الصدق فى شئ.. لقد سمعتك الان، مثلا، وانت تقولين لصديقى الكابتن هاستنج ان اختك كانت فتاة طيبة مستقيمة ليس لها علاقات بالرجال.. وقد ادركت من نبرات صوتك

انك تريدين ان تقولى عكس هذا. وسواء كنت مصيبا فى هذا الادراك او مخطئا، فالمهم انى اريد ان اتحدث مع شخص يعرف كل شئ عن بيتى، ويذكر كل ما يعرفه بلا مجاملة او مراوغة حتى نستطيع ان نحدد موقفنا من هذه الجريمة.

وصمتت الفتاة برهة كانت خلالها تحملق فى وجه بوارو..

وفجأة قالت:

- كانت بيتى فتاة حمقاء متهورة.

وانحنى بوارو للفتاة فى اعجاب، وقال:

- اننى احيى فيك هذه الصراحة يا مس بارنارد، وقد صدق حدسى بانك فتاة لا ينقصها الذكاء.

- كنت احب بيتى كل الحب.. ولكن هذا الحب لم يكن يحجب عن عينى الحقيقة، وهى انها كانت غبية، متهورة، لا تعرف ما يضرها مما ينفعها. وكثيرا ما قلت لها هذا فى بعض المناسبات... وهذا ما تفعله الاخوات عادة.

- وهل كانت تهتم بملاحظاتك ونصائحك؟

- لا اظن..

- ارجو ان تكون اجاباتك محددة يا انستى.

فترددت الفتاة برهة، ثم قالت اخيرا:

- لم تكن ابدا بيتى شريرة بطبعها أو منحلة الاخلاق. واحب ان

تتأكد من هذه الحقيقة تماما.. انها لم تكن من النوع الذى يقضى نهاية الاسبوع مع الرجل الذى يدفع الثمن.. لا.. مطلقا.. كل ما فى الامر انها كانت فتاة لعوبا فى براءة، تحب ان تخرج مع الشبان فى نزهات، والى دور السينما، وان تسمعهم وهم يرددون عبارات الغزل لها.. هذا هو كل ما فى الامر.

- هل كانت جميلة؟

وعندئذ تناولت ميجان من حقيبة يدها صورة صغيرة وقدمتها الينا. وقد رأينا فى الصورة وجها باسما لفتاة لا تستطيع ان تقول بانه جميل.

وقال بوارو وهو يعيد الصورة لميجان:

- انها كبيرة الشبه بك..

- لا.. كانت اجمل منى..

- حسنا.. وكيف كانت علاقتها بالشاب دونالد فريزر؟

- كانت تبادله الحب.. ولكنه كان يحبها بجنون، بينما كانت هى تحبه باعتدال. وكثيرا ما كنت اخشى ان ينفض يده منها يأسا بسبب تصرفاتها التى طالما اثارت المنازعات بينهما.. هذا كل ما لدى من اقوال.. طاب يومكما.

ولكن بوارو اسرع يقول لها قبل ان تنصرف:

- مهلا يا انستى.. ان الجريمة التى ذهبت اختك ضحيتها ليست من الجرائم البسيطة التى تحدث كل يوم، انها اخطر من هذا بكثير،

ومن ثم ارجوك ان تتريثى قليلا وتزيدى من تعاونك معنا..

ثم راح يسرد لها ما حدث فى اندوفر، ودليل السكك الحديدية الذى وجدت نسخة منه فى مسرح الجريمة الاولى، ثم فى مسرح الجريمة الثانية، وقرأ عليها الرسالتين اللتين تلقاها من المجرم المجهول، فلما افرغ، نظرت اليه الفتاة فى دهشة بالغة، وقالت:

- هل حقا هذا كله يا سيدى؟

- نعم..

- اتعنى ان تقول ان قاتل اختى رجل مجنون تطغى عليه شهوة سفك الدماء؟

- تماما...

- اوه! بيتى.. بيتى.. يا للمسكينة! اذن لم يكن لها ذنب فيما حدث لها؟

- ان فى مقدورك الان يا انستى ان تحدثينا بكل ما تعلمين حتى نستطيع ان نقدم هذا القاتل المجنون الى العدالة.

- نعم، نعم.. هذا ما ينبغى.

- اذن لنصل حديثنا الذى انقطع. لقد فهمت ان دونالد فريزر كان ناقما على تصرفات اختك، وان المنازعات كانت تكثر بينهما بسبب غيرته الشديدة عليها!

فقالت ميجان بارنارد بهدوء:

– سوف اضع ثقتى فيك يا مستر بوارو. وارجو الا تخبر احدا بما سأقوله لك عن اختى. والواقع ان دونالد من الشبان الهادئين الذين يتحملون كثيرا، ولكنهم يختزنون الاساءات ويكبتون المشاعر، ثم ينفرجون بعنف شديد. وهذا ما كان يحدث مع اختى. كان شديد الغيرة عليها، وكان يحبها بعنف، ولكن بيتى لم تكن تحبه بمثل هذا العنف.. كانت تحبه حقا، ولكنها لم تكن من النوع الذى يكتفى بحب شخص واحد فلا ترى غيره فى الدنيا. نعم، انها لم تكن من هذا النوع، وان كانت تحب الوسامة والجمال فى كل شاب تتعرف عليه، وتقضى معه فترة من الوقت فى نزهة او فى سينما. وكانت بحكم عملها فى المقهى، طبعا، كثيرة التعرف بالرجال والشبان، لا سيما فى موسم الاصطياف واؤكد لك ان الامر لم يكن يزيد بينها وبين اى شاب او رجل عن الخروج معه فى نزهة قد تستغرق اليوم كله، او الذهاب فى صحبته الى دار سينما. وبمعنى اخر انها لم تكن جادة فى علاقتها مع اى شخص اخر غير دونالد. وكثيرا ما كانت تقول لى انها سوف تتزوجه فى النهاية، وتستقر معه فى حياة زوجية سعيدة بعد ان اشبعت حياتها باللهو والمرح.

وتوقفت ميجان برهة عن الحديث، فقال بوارو:

– اننى افهم تماما هذا الوضع يا مس بارنارد... استمرى.

– ولكن دونالد فريزر لم يكن يفهم هذا الوضع.. وانما كان يفهم انه كان عليها ان تحبه كما يحبها تماما.. بنفس القوة والاخلاص والتفانى. وقد ادى هذا الاختلاف فى فهم الحب الى منازعات شديدة بينهما.

– متى كانت اخر هذه المنازعات؟

– منذ شهر تقريبا... كنت قد عدت من عملى فى نهاية الاسبوع، عندما علمت انهما تشاجرا بعنف حتى لقد فزعت بيتى من دونالد. ولكننى صالحتهما واسرفت فى تعنيف بيتى، وحاولت ان ابين لها خطأ ذلك التمادى فى العبث واللهو مع الشبان الاخرين، وقد اكدت لى بدورها انها تحب دونالد، وان كل علاقاتها بغيره مجرد صداقة عابرة بريئة وتسلية لا ضير فيها، وكانت قد تعودت بعد منازعة شديدة سابقة.. ان تكذب عليه احيانا خوفا من اثارته. وكان مبدؤها ان الذى لا يعرفه العقل لا يحزن عليه القلب. وقد حدثت هذه المنازعة الاخيرة لان بيتى قالت له انها ستذهب لقضاء يوم فى بلدة هاستنج مع صديقة لها. ولكن دونالد اكتشف انها ذهبت الى بلدة ايستبورن مع صديق. وعلم ان هذا الصديق متزوج، وانه كان يخرج مع بيتى سرا. وهذا ما اثاره واخرجه عن طوره. وقد احتجت بيتى على غضبه قائلة انهما لم يتزوجا بعد، وان من حقها ان تخرج مع من تشاء.. وقد ضاعف هذا من ثورة دونالد حتى كان يرتعد ويصيح قائلا: انه سيضطر ذات يوم الى.. الى..

– الى ماذا يا مس بارنارد؟

فقالت بصوت خافت:

– الى ارتكاب جريمة.

– وهذا ما يجعلك خائفة من الحديث فى هذا الموضوع؟

– اننى لم اكن اظن انه جاد فى تهديده.. اطلاقا. ولا اعتقد لحظة

انه هو القاتل. ولكننى كنت اخشى ان اتحدث بهذا كله، فالفت اليه انظار رجال المباحث، لاسيما وان عددا كبيرا من الناس قد سمعوه وهو يقول هذا.

فقال بوارو:

– لولا غرور المجرم المجهول الذى يبدو فى وضعه لدليل السكك الحديدية كل مرة مع الجثة، لتركزت الشبهات على دونالد فريزر فعلا.

وفى تلك اللحظة، صلصل جرس الباب الخارجى، فاطلت ميجان برأسها خلسة من النافذة، ثم عادت تقول:

– انه دونالد..

فقال لها بوارو:

– دعيه يأتى الينا اولا قبل ان يراه اصدقائى المفتشين.

وانفلتت ميجان حتى غابت لحظة، ثم عادت ومعها الشاب دونالد فريزر.



الرسالة الثالثة

وأحسست بالعطف على الشاب حين رأيته مقبلا مع ميجان.. ذلك ان وجهه الشاحب المرهق كان ينم عما يصطرع فى اعماق نفسه من الام واحزان.

كان وسيما، رياضى الجسم، يكاد يبلغ طوله ستة اقدام، بارز الوجنتين، له شعر احمر كالسنة اللهب.

وكان يقول لميجان وهو مقبل معها:

- ما هذا يا ميجان؟ لماذا تدخلينى هنا؟ لقد سمعت الان فقط ان.. ان بيتى..

وتهدج صوته.. ثم ترنح فى وقفته..

فقدم اليه بوارو مقعدا تهدج عليه، ثم تناول من جيبه الخلفى زجاجة براندى صغيرة، سكب منها قليلا فى كأس قدمها الى دونالد قائلا:

- اشرب هذا يا مستر فريزر، انه يفيدك الان.

واطاع الشاب الامر، فظهر اثر الشراب سريعا فاعاد الدماء الى وجهه، فهدأ بعض الشئ، وجلس منتصبا فى مقعده، وهو يقول فى اضطراب:

- هل حقا ما سمعت؟ هل ماتت بيتى.. مقتولة؟

- نعم يا دونالد..

فقال بلهجة الية:

- وهل جئت من لندن فورا يا ميجان؟

- نعم.. لان ابى اتصل بى تليفونيا.

- فى قطار الساعة التاسعة والنصف على ما اظن؟

- نعم..

وبعد برهة صمت، عاد يقول:

- وهل يقوم رجال المباحث بتحرياتهم الان؟

- انهم فى الطابق الاعلى الان.. فى غرفة بيتى.

- انهم لا يعرفون من..؟

- ليست لديهم اية فكرة عن..؟

ثم توقف عن الحديث فجأة، وقد عاد وجهه الى الامتقاع، وهنا تقدم بوارو منه قليلا، وقال له:

- الم تخبرك بيتى اين كانت تنوى الذهاب ليلة امس؟

- قالت انها ستذهب مع صديقة لها الى بلدة سانت ليونارد.

- وهل صدقتها؟

فهتف دونالد بحرارة:

- ماذا تعنى بحق الشيطان؟

واربد وجهه بانفعالات عنيفة، جعلتنى اؤمن ان بيتى كانت على صواب فى تجنبها اثارة غضبه..

وقال بوارو:

- ان سفاك الدماء، مجنونا قتل بيتى. ولكى نصل الى الحقيقة يجب ان نلتزم الصراحة التامة فى احاديثنا.

وهنا قالت ميجان:

- اجل يا دونالد.. ليس هذا وقت التعاطف. يجب ان تذكر كل ما تعرفه عن هذا الشأن.

ونظر دونالد فى ارتياب الى بوارو، وقال:

- من انت؟

- انك لست من رجال المباحث العامة؟

فقال بوارو ببساطة توحى بانه يؤمن تماما بما يقول:

- اننى خير منهم.

وقالت ميجان:

- صارحه بكل شئ يا دونالد.

فهدأت ثائرة دونالد، وقال ببساطة:

- اننى غير واثق من شئ.. كنت قد صدقتها حين قالت لى هذا. ولكننى بدأت اتساءل فيما بعد.. بدأت ارتاب..

- لماذا؟

- اننى اشعر بالخجل الان من شكوكى فى امرها. وايا كان الامر، فقد ذهبت الى شاطئ البحر لاراقبها، وهى تنصرف من المقهى. ولكننى تراجعت خشية ان ترانى بيتى، فتعتقد فورا اننى اراقبها..

- اذن ما فعلت؟

- ذهبت الى سان ليونارد حيث بلغتها فى الثامنة مساء، ثم شرعت اراقب جميع السيارات العامة الاتية من بكسهيل املا ان اراها وهى تهبط مع صديقتها من احداها.. ولكننى لم ارها.

- ثم ماذا؟

- غضبت جدا، وايقنت انها.. انها مع رجل اخر، وان من المحتمل ان يكون قد صحبها فى سيارته الى مدينة هاستنجز. وذهبت الى هذه المدينة، ورحت اتطلع الى فنادقها ومشاربها ومطاعمها، واحوم حول دور السينما فيها، ثم مضيت الى البلاج.

- وكانت هذه كلها تصرفات حمقاء، لانها حتى لو كانت بهذه البلدة، لما امكن ان اعثر عليها بمثل هذه البساطة. هذا فضلا عن وجود مصايف اخرى كثيرة جدا على طول الشاطئ.

وصمت برهة ريثما تهدأ نفسه الثائرة، وعاد يقول:

- ويئست اخيرا من لقائها، فعدت..

- فى اى وقت؟

- لا ادرى.. لقد عدت ماشيا. ولا شك ان الليل كان قد انتصفت حين بلغت مسكنى.

- ثم..؟!

وهنا فتح باب المطبخ، ودخل المفتش كيسلى قائلا:

- اهذا انت هنا؟

وشق المفتش كروم طريقه بسرعة، والقى نظرة سريعة على ميجان ودونالد، وعندئذ قدمها بوارو اليه قائلا:

- المس ميجان بارنارد، والمستر دونالد فريزر.

ثم قال للشاب والفتاة موضحا:

- وهذا المفتش كروم من اسكتلانديارد.

واستدار نحو المفتش واردف قائلا:

- كنت اثناء تحرياتك فى الطابق العلوى، اتحدث مع المس ميجان والمستر دونالد املا ان اجد شيئا يلقى بعض الضوء على الجريمة.

فقال كروم وهو مشغول الفكر بالشاب والفتاة:

- اه، حسنا!

وتراجع بوارو الى الصالة، واسرعت وراءه حيث قلت له:

- هل وصلت الى شئ؟

- عرفت فقط يا هاستنج ان القاتل على جانب كبير من الاعتزاز بالنفس.

ولم اجد الشجاعة الكافية لاقول له اننى لم افهم شيئا.

وعقدنا مؤتمرا اخر من سلسلة المؤتمرات التى عقدناها لبحث موضوع ذلك القاتل الخفى (ا. ب. س).

وكان ذلك المؤتمر الاخير خاصا بتقرير ما اذا كان ينبغى او لا ينبغى ان نعلن على الرأى العام موضوع الرسائل التى بعث بها المجرم المجهول الى بوارو... ذلك ان جريمة بكسهيل كان لها اثر كبير فى الرأى العام، لانها اولا وقعت فى مصيف مزدحم بالمصيفين، ولان الضحية فيها كانت هذه المرة فتاة شابة على جانب من الجمال.

وبعد منا قشات طويلة، اتفقنا على ان المجرم المجهول يعانى نوعا من جنون العظمة، وانه لم يرتكب هذه الجرائم، ويرسل الى بوارو هذه الرسائل الا سعيا وراء نوعا من الشهرة التى ترضى غروره المكبوت.

- وانتهينا اخيرا الى قرار مؤداه ان ننتظر.. فاذا ارسل الى بوارو رسالة ثالثة يحدد فيها المكان والزمان اللذين سيرتكب فيهما جريمته الثالثة، اعلنا على الناس جميعا، عن طريق جميع الصحف والاذاعة، كل شئ عنه حتى يأخذ الجميع حذرهم ويصبح من العسير عليه تنفيذ جريمته، كما يمكن الايقاع به اذا هو حاول تنفيذها.

وانى لاتذكر بوضوح وصول الرسالة الثالثة التى كتبها ذلك المجرم

المجهول الذى يرمز لنفسه بتلك الاحرف الهجائية: (ا. ب. س).

ولست بحاجة لان اذكر ان رجال المباحث اتخذوا جميع الاجراءات والاحتياطات اللازمة لمواجهة ذلك المجرم عقب وصول رسالته الثالثة مباشرة. ومن بين هذه الاجراءات، ان عهد الى جاويش شاب من رجال المباحث بالبقاء فى مسكن بوارو عند غيابنا عنه ليكون حاضرا عند وصول الرسالة فيستطيع من ثم الاتصال بادارة اسكتلانديارد بدون اى تأخير.

وازدادات اعصابنا توترا مع مرور الايام، ورفض بوارو ان يغادر لندن رغم الجو الخانق الذى كان يسودها فى تلك الفترة. وقد لاحظت ان بوارو يعانى من قلق نفسى شديد لاحساسه ان المجرم المجهول يتحداه شخصيا، وان بعض الابرياء سوف يدفعون ثمن التحدى اذا لم يقع المجرم فى ايدى العدالة قبل ان يضيف الى جريمتيه جرائم اخرى.

وكان يوم الجمعة هو اليوم الذى وصلت فيه الرسالة الثالثة.. وقد جاءت مع بريد الساعة العاشرة مساء.

فما ان سمعت طرقات ساعى البريد المعهود، حتى وثبت مسرعا، وهرعت الى صندوق بريد بوارو الخاص حيث وجدت فيه اربع او خمس رسائل وكانت بينها رسالة مكتوبة على الالة الكاتبة، تماما كسابقتيها!

وهتفت قائلا، وانا انطلق بها الى بوارو:

- بوارو .. لقد وصلت الرسالة.

فصاح قائلا:

- افتحها.. افتحها يا هاستنج بسرعة.. اننا فى حاجة الى كل لحظة لنتخذ الاجراءات اللازمة.

وفضضت الرسالة بسرعة، ورحت اقراها بصوت مسموع:

(ايها المسكين المسيو بوارو، هل ادركت الان انك لست بارعا فى القبض على المجرمين، وفى الكشف عن الجرائم الغامضة كما كنت تظن؟ يبدو ان الشيخوخة قد ركبتك!

- حسنا، لنرى ماذا يمكن ان تفعل هذه المرة! ساجعل الامر سهلا جدا. موعدنا اليون الثلاثين من الشهر، وفى بلدة سيرستون. حاول ان تفعل شيئا.. فاننى بدات اشعر بالتفاهة وانا اجول فى الميدان بمفردى!.. ارجو لك التوفيق.. صديقك ا. ب. س).

ووثبت قائلا وانا افتح دليل السكك الحديدية على حرف (س):

- سيرستون.. ترى اين تقع؟

وسمعت بوارو يقول بانفعال:

- هاستنج! متى كتب هذا الخطاب؟ هل عليه تاريخ الارسال؟

فنظرت الى الرسالة فى يدى وقلت:

- اجل.. انها تحمل تاريخ اليوم السابع والعشرين.

- وهل حدد جريمته الثالثة باليوم الثلاثين؟

- اجل..

– يا الهى.. هل نسيت اننا فى اليوم الثلاثين فعلا.

ونظرت الى نتيجة الحائط، ثم قلت:

– عجبا! ولكن، ما معنى..

واختطف بوارو المظروف من يدى، وقرأ العنوان المكتوب عليه:

(المسيو هريكول بوارو، عمارات هوايت هورس) ثم قرا ملاحظات موظفى البريد المكتوبة فى اركان المظروف:

(غير موجود فى عمارات هوايت هورس) و (يجرى البحث عنه فى هوايت هورس) ثم (يعاد البحث عنه فى عمارات هوايت هافن)

وكان بوارو يقيم فى مسكن بعمارات هوايت هافن.

وغمغم بوارو قائلا فى انزعاج شديد:

– يا للسماء؟

ـ هل الاقدار تساعد هذا المجرم فتجعله يكتب العنوان خطأ لكى تأتى الرسالة متأخرة عن موعدها ثلاثة ايام؟..

ـ اسرع، اسرع، يجب ان تتصل باسكتلانديارد فورا.

وبعد لحظة، كان بوارو يتصل تليفونيا بالمفتش كروم الذى ما كاد ان يعرف ما حدث حتى كتم مجموعة من السباب واللعنات التى تزاحمت بين شفتيه، ثم قال لبوارو انه سيتصل ببلدة سيرستون.

ووضع بوارو المسماع، ثم قال وهو ينظر فى ساعاته:

– الساعة الان العاشرة والثلث.. اى لا يزال على منتصف الليل

ساعة واربعون دقيقة.. ترى هل نستطيع ان نصل الى سيرستون قبل منتصف الليل؟ وهل ذلك المجرم المجنون لم يرتكب جريمته بعد؟

وفتحت دليل السكك الحديدية، وقلت وانا اقرأ فيها:

- بلدة سيرستون على البحر، باقليم ديفون.. تبعد عن بادنجتون بمائتين واربعين ميلا وثلاثة ارباع الميل، عدد سكانها ٦٥٦ نسمة.. انها محدودة السكان جدا، ولابد ان اى شخص غريب يدخلها سيلاحظه السكان فيها.

- ان هذا لن يمنع وقوع جريمة اخرى.. ماهى مواعيد القطارات المارة بها؟.. اعتقد ان القطار فى هذه الحالة اسرع من السيارة!

- هناك قطار منتصف الليل، به مركبة نوم، يصل فى الساعة السادسة وثمانى دقائق الى نيوتن، وفى السابعة والربع صباحا الى سيرستون.

- من محطة بادنجتون؟

- اجل..

- لسوف نركب هذا القطار يا هاستنج.

- قبل ان نعرف ماذا حدث؟

- وما جدوى معرفتنا؟

وفيما كان بوارو يتصل تليفونيا مرة اخرى باسكتلانديارد، اسرعت انا بوضع بعض الحاجات الضرورية فى حقيبة السفر.. ولما عاد بوارو،

قال ان بعض رجال اسكتلانديارد سيلتقون بنا على رصيف المحطة، وانه يحسن بنا ان نأخذ معنا الرسالة الثالثة.. ليطلعوا عليها.

وكان المفتش كروم اول من رأيناه فى انتظارنا على رصيف المحطة وقد قال مجيبا على نظرة بوارو المتسائلة:

- لا.. لم تصلنا اية انباء بعد.. ان رجالنا قد حذروا بالتليفون جميع الاشخاص الذين تبدأ اسماؤهم بالحرف (س) فى تلك البلدة. لا تزال الفرصة سانحة امامنا. اين الرسالة؟

وبعد ان فحصها، صفر منزعجا، وهو يقول:

- يا لسوء الحظ! ان النجوم فى سمائها تساعد هذا اللعين ضدنا.

فقلت متسائلا:

- الا يمكن ان يكون قد تعمد هذا الخطا؟

فهز كروم رأسه، وقال:

- لا.. انه حريص على التزام المبادئ. وهذا النوع من الجنون يجعل صاحبه شديد التشبث بالفكرة المسيطرة عليه. وما دام قد قرر انيتحدى شخصا معينا، فانه لا يلجأ الى المراوغة والخداع. واستطيع ان اراهن انه يشرب ويسكى هوايت هورس.

فأوما بوارو برأسه، وقال:

- هذه لمحة بارعة يا مستر كروم. لعل الزجاجة كانت امامه وهو يكتب العنوان. وكثيرا ما تكتب اليد ما تراه العين على غير وعى من

الانسان.

ورفت ابتسامة خفيفة على شفتى كروم، وقال:

- اذا اسعدنا الحظ ولم يحدث شئ حتى الان فى سيرستون، فلا شك ان المجرم موجود بها الان.. انه لن يغادرها حتى يحقق مأربه، لانه سيعز عليه كثيرا ان يفشل!

وفيما كان القطار يتحرك من المحطة، لمحنا احد رجال المباحث يسرع نحونا، ثم ينقر على نافذة المقصورة التى جلسنا فيها، فاسرع كروم وفتحها قائلا:

- ماذا؟ هل وصلت اليك انباء ما؟

ولم نسمع ما قاله الرجل، ولكن وجه كروم كان شديد التجهم وهو يلتفت الينا قائلا:

- لقد عثروا على السير سيرميكال كلارك مقتولا بضربة قاضية على مؤخرة راسه.

وكنا جميعا نعرف السير سيرميكال كلارك اخصائى امراض العيون الذى لم يكن مشهورا جدا بين الطبقات الشعبية، وكان قد تقاعد عن العمل بعد بلوغه سن الستين، وذلك ليتفرغ لهوايته الخاصة، وهى جمع التحف الخزفية الثمينة المصنوعة فى الصين، لاسيما القديم منها.

- وكان بعد تقاعده قد ورث عن عمه ثروة طائلة، اتاحت له الحصول على الشئ الكثير من هذه التحف من مختلف المزادات

العالمية.. وكان متزوجا، ولكنه لم ينجب اطفالا، وكان يعيش فى منزل خاص على شاطئ البحر فى اقليم ديفون، ولا يذهب الى لندن الا نادرا.

وكان من الواضح ان مقتله سوف يثير فى الراى العام، وفى الصحافة بوجه خاص، ضجة كبيرة لم يحدث لها مثيل منذ اعوام، لاسيما وقد وقعت الجريمة فى شهر اغسطس حيث يكون معظم الناس متلهفين على ما يشغل اذهانهم.

وقال بوارو:

– اه.. من يدرى.. لعل هذه الضجة سوف تؤدى الغرض الذى تستطيع جهودنا ان تؤديه. فلا شك ان الناس جميعا سوف يهبون للبحث عن ذلك المجرم المجنون المجهول (ا. ب. س).

فقلت اسفا:

– ان هذا ما يرده فعلا.

– نعم.. ولكن النجاح مسكر. ولا شك ان شعوره بالزهو سوف يدفعه لارتكاب بعض الاخطاء التى توقع به فى النهاية.

وبعد برهة من الصمت، اردف بوارو قائلا:

– اننا حتى اليوم نحارب فى الظلام.. لا نعرف شيئا محددا، عن ذلك المجرم المجهول. بل اننا لا نعرف، الا تخمينا، الدوافع التى تدفعه لارتكاب هذه الجرائم، وانه لمن اسوأ الامور ان يقتل الانسان اشخاصا ابرياء غرباء عنه بلا اى اسباب أو مبررات..

فقلت وانا ارتعد:

ـ الا يكفى ان يكون الجنون مبرا معقولا؟

– نعم، الى حد ما.. وهذا موضع الخطر.

وبعد برهة صمت، قلت فى شئ من الحزم:

– ايا كانت الاحوال، فمن واجبنا جميعا ان نبذل كل ما يمكن من جهود حتى نضع حدا لهذه الجرائم البشعة.

– طبعا، طبعا.. علينا ان ننام الان، لان هناك اعمال كثيرة فى انتظارنا غدا.



السير سيرميكال كلارك

تقع بلدة سيرستون بين مصيف بريكسهام من جهة، وبانتون وتوركاى من جهة أخرى، وتقع فى موقع على منتصف انحناءه خليج ترباى من الجهة اليمنى.

وكانت قبل عشر سنوات مجرد ملعب للجولف، أو على الأصح ساحة لملاعب الجولف فى تلك المنطقة، وتمتد وراء الملاعب ارض خضراء تصل إلى شاطئ البحر، دون أن يكون بها غير بيت ريفى أو بيتين.. إلا أنها فى السنوات الأخيرة نمت وزحف العمران عليها، وأقيمت بها المنازل والشوارع والفيلات المتناثرة على الشاطئ.

وكان السير سيرميكال كلارك قد اشترى قطعة ارض، تشرف على البحر من ربوة عالية، وأقام فيها منزلا على الطراز الحديث يحتوى على مسكن خاص لصاحبه، وجناحين يحتويان على مجموعات التحف الثمينة التى يهوى السير سيرميكال جمعها.

وقد وصلنا إلى ذلك المكان فى الساعة الثامنة صباحا، حيث وجدنا احد رجال الشرطة المحليين فى استقبالنا على المحطة، وهو الذى زودنا بالمعلومات الأولى عن الحادث.

علمنا منه أن السير سيرميكال كان قد اعتاد أن يقوم بجولة على قدميه بعد العشاء كل ليلة، ولما اتصل رجال الشرطة بمنزله تليفونيا ليحذروه، وكان ذلك بعد الحادية عشرة مساء، علموا انه لم يعد بعد من جولته.

ـ ولما كان خط سيره معروفا، فان البحث عنه لم يستغرق فترة طويلة، اذ ما لبث ان عثر رجال الشرطة على جثته فى مكان ما من الطريق الذى اعتاد ان يتجول فيه.

وكانت الوفاة قد نتجت عن ضربة عنيفة اصابت مؤخرة الرأس. وبجانب الجثة وجدوا دليل (ا. ب. س) للسكك الحديدية موضوعا فى وضع مقلوب.

ووصلنا الى البيت فى نحو الثامنة وعشر دقائق، حيث فتح لنا الباب خادم تشريفاتى عجوز كان الحزن الشديد واضحا على وجهه. وقد حياه رجل الشرطة المحلى بقوله:

– طاب صباحك يا ديفريل.

– طاب صباحك يا مستر ويلز.

– هؤلاء هم السادة الوافدون من لندن.

– تفضلوا من هذا الطريق ايها السادة.

ومضى امامنا عبر قاعة كبيرة للطعام، كان على مائدة فيها صحفة عليها وجبة افطار كاملة. ثم قال:

- لسوف استدعى المستر فرانكلين.

وبعد لحظات اقبل رجل كبير الجسم، اشقر الشعر، ملوح الوجه بوهج الشمس.

وكان هذا، كما علمنا، المستر فرانكلين كلارك، شقيق المتوفى.

وكان يبدو عليه، من تصرفاته الثابتة، انه رجل اعتاد ان يواجه مثل هذه المواقف العصيبة بثبات.

قال لنا:

- طاب صباحكم ايها السادة.

وقام المستر ويلز، رجل الشرطة المحلى، بعملية التقديم فقال:

- المفتش كروم، من ادارة المباحث العامة، المسيو هريكول بوارو، الكابتن هاينز..

فصححت الاسم بسرعة قائلا ببرود:

- هاستنج.

وصافحنا فرانكلين كلارك، كل منا على حدة، وهو يزودنا بنظرات حادة نافذة، ثم قال:

- اسمحوا لى ان اقدم لكم طعام الافطار.

ووافقنا جميعا.. وسرعان ما جلسنا على مائدة حافلة بالبيض المقلو والسجق والجبن والزبد والمربى والشاى. وبعد ان ارضينا بطوننا، قال فرانكلين كلارك:

– الى العمل الان.. لسوف يقدم لكم المفتش ويلز فكرة عامة عن حادث امس. اما من ناحيتى، فانى لا اكاد اصدق ذلك الحديث عن المجرم المجهول الذى يسمى نفسه (ا. ب. س).

ـ هل تريد منى يا سيدى المفتش كروم ان اصدق ان اخى مات قتيلا بيد مجرم مجنون ارتكب جريمتين قبل ذلك، وانه يختار ضحاياه حسب الترتيب الهجائى لاسمائهم؟ وانه يضع بجانب كل ضحية دليل (ا. ب. س) للسكك الحديدية؟

فقال المفتش كروم:

– هذه هى الحقيقة بقدر ما نعرف حتى الان يا مستر كلارك.

– ولكن لماذا؟..

ـ ما هى الفائدة التى يمكن ان تعود من هذه الجرائم حتى على اشد الناس جنونا؟

فأوما بوارو برأسه موافقا، وقال:

– احسنت التعبير يا مستر كلارك.. هذا هو السؤال الذى يحيرنا جميعا.

فقال المفتش كروم:

– لا جدوى من البحث عن دوافع الجريمة يا مستر كلارك.. هذه مهمة علماء النفس، وان كنت شخصيا اعرف ان الجرائم التى يرتكبها المجانين ليس من الضرورى ان تكون لها دوافع معقولة.. فمثلا هناك دافع الرغبة، عند البعض، فى اثبات وجودهم امام الناس، وفى اثارة ضجة ضخمة حول اسمائهم، او ان يصبحوا مشهورين باية وسيلة بدلا من بقائهم نكرات.

فقال المستر كلارك فى شئ من الارتياب، وهو يوجه الحديث الى بوارو:

ـ احقا هذا يا مسيو بوارو؟

فاجاب صديقى قائلا:

– نعم.. للاسف الشديد.

ففكر المستر كلارك برهة، ثم قال:

– ان مثل هذا الرجل، على كل حال، لن يستطيع ان يبقى بعيدا عن ايديكم مدة طويلة.

– نعم، نعم..

ـ ولكن هذا النوع من الناس يكون على مكر شديد ودهاء بالغ واحساس عميق بالحقد على المجتمع.. انه واحد من الذين يعيشون فى الحياة نكرات، لا يحس بهم احد، ولا يهتم بامرهم مخلوق.

وتدخل كروم فى الحديث قائلا لمستر كلارك:

– اتسمح يا مستر كلارك وتذكر لى بعض ما تعرفه عن حقائق من ظروف اخيك، وتجيب على بعض ما سأوجهه اليك من اسئلة؟

– طبعا.. طبعا..

– هل كان اخوك فى حالة صحية ومعنوية طبيعية امس؟

ـ الم يستلم رسائل غير منتظرة؟

ـ الم يحدث ما اشاع الاضطراب فى نفسه؟

– لا.. استطيع ان اقول انه كان فى حالة طبيعية من جميع الوجوه.

– الم يكن هناك ما يثير قلقه واضطرابه؟

– ان القلق والاضطراب يا سيدى المفتش من الحالات الطبيعية التى كان يعيش فيها اخى بصفة دائمة.

– لماذا؟..

– لعلك لا تعرف ان زوجته، الليدى كلارك، فى حالة صحية مؤلمة.. ويمكن القول فيما بيننا انها تعانى من سرطان لا يرجى شفاؤه، ولا ينتظر ان تعيش طويلا.

ـ وكانت حالتها الصحية هذه تثير الالم فى نفس اخى دائما.. وانا نفسى فوجئت بالتغيير الكبير الذى طرأ عندما عدت من الشرق الاقصى بعد غيبة طويلة.

وتدخل بوارو فى الحديث قائلا:

– لنفرض ان اخاك وجد قتيلا بطلق نارى فى سفح تل او فى جانب

طريق، وان المسدس كان بجانبه، فماذا يكون رأيك فى هذه الحالة؟

فقال كلارك:

- كنت اعتقد فورا انه انتحر.

وهنا قال المفتش كروم، وهو يلوى شفتيه قليلا:

- ان هذا الحادث ليس انتحارا على كل حال.. والان يا مستر كلارك، هل كان اخوك معتادا على القيام بجولة على قدميه كل ليلة؟

- اجل..

- كل ليلة بلا انقطاع؟

- اجل.. فيما عدا الليالى المطيرة طبعا.

- وهل جميع المقيمين فى البيت معك يعرفون عنه هذه العادة؟

- طبعا..

- وفى الخارج؟

- اننى لا افهم ماذا تعنى بذلك.. ربما كان البستانى يعرف هذه العادة عنه، ولكننى شخصيا غير واثق.

- وسكان البلدة؟

- على وجه الدقة ليس لدينا بلدة بالمعنى المفهوم.. كل ما فى الامر ان لدينا مكتب بريد، وبضعة بيوت صغيرة، وبضعة شوارع قليلة. ولكن ليس ثمة محلات ولا منافع عامة يمكن ان تتكون منها بلدة.

– فى هذه الحالة يمكن بسهولة ان يثير الانتباه اى غريب يدخل هذه المنطقة ويتجول فيها؟

– على العكس.. فان هذه المنطقة فى شهر اغسطس تكون عادة مزدحمة بمختلف انواع الاشخاص الغرباء.. انهم يفدون من بريكسهام، وتوركاى، وبايتون، فى السيارات والحافلات وعلى الاقدام.

ثم اشار بيده الى الجهة اليمنى من الشاطئ، واردف قائلا:

– ان هذه الشواطئ الرملية المسماه (برودساند) و (البرى كاف) تعتبر من المناطق التى تستهوى الكثير من المصيفين ليقضوا فيها عطلة نهاية الاسبوع. ولشد ما اتمنى لو انهم لا يأتون، فانك لا تدرى الى اى حد من الجمال تكون عليه هذه المناطق فى شهر يونية وفى اوائل يولية.

– اذن فانت ترى ان وجود غريب فى هذه الناحية لا يثير انتباه احد؟

– اجل.. الا اذا كان شاذ التصرفات.. مخبولا او مجنونا مثلا.

فقال المفتش كروم بلهجة التأكيد:

– ان ذلك المجرم لا يبدو مجنونا او شاذ التصرفات امام الناس. واعتقد انه جاء اولا لاسكتشاف هذه المنطقة ورسم خطته لارتكاب الجريمة ومعرفة عادة السير سيرميكال كلارك فى التمشى كل ليلة. وبهذه المناسبة، الم يأت رجل غريب أمس ليسأل عن السير سيرميكال كلارك؟

– لا اعرف على وجه اليقين.. ولكن يمكننا ان نسال ديفريل.

ورن الجرس واتى الخادم التشريفاتى ووجه اليه ذلك السؤال، فقال

الخادم مجيبا:

- لا يا سيدى.. لم يحضر احد لمقابلة السير كلارك، ولم الاحظ وجود شخص غريب بالقرب من القصر. وكذلك الخادمات لم يرين شيئا، لانى سألتهن.

وانتظر الخادم لحظة، قبل ان يسأل قائلا:

- هل هذا كل شئ؟

- اجل يا ديفريل.. يمكنك ان تنصرف.

- وانسحب ديفريل الى الباب حيث افسح الطريق لفتاة شابة كانت داخلة.

ونهض فرانكلين كلارك عند دخولها، وقال يقدمها:

- هذه هى المس جراى ايها السادة، سكرتيرة اخى.

ولفت انتباهى فورا بياض بشرتها الناصع الذى يشبه بياض سكان الدول الاسكندنافية، وكان شعرها ذهبيا فاتح اللون جدا كشعور معظم النساء النرويجيات والسويديات، وكذلك كانت عيناها خضراوين فاتحتين، ولبشرتها ذلك الصفاء المتألق الذى يبلغ حد الشفافية، والذى يمتاز به سكان المناطق الشمالية من اوروبا بوجه عام. ومن ناحية السن كانت تبدو فى السابعة والعشرين، كما لاح انها على كفاية ممتازة بجانب جمالها الملفت للنظر.

قالت وهى تتخذ مجلسها:

- هل استطيع ان اقدم لكم أى مساعدة أو خدمة؟

وعرض فرانكلين كلارك ان تأكل، ولكنها اكتفت بفنجان شاى، وعندئذ سالها كروم قائلا:

- هل كنت تشرفين على مراسلات السير سيرميكال؟

- اجل.. كلها..

- اعتقد انه لم يستلم رسالة أو اكثر موقعة بالحروف (ا. ب. س).

- ا. ب. س؟! لا.. اننى واثقة تماما بانه لم يستلم رسالة موقعه بمثل هذه الاحرف.

- الم يذكر فى معرض حديثه ذات مرة انه يتسكع فى طريق جولته المسائية؟

- لا.. لم يذكر قط شيئا من هذا القبيل.

- وانت، الم تلاحظى وجود احد الاشخاص الغرباء بالقرب من القصر فى الايام الاخيرة؟

- رأيت كثيرا من الغرباء يمرون بالقرب من القصر، فمن المعتاد ان يكثر وفود بعض المصيفين فى هذه المنطقة.

وطلب المفتش كروم ان يذهب الى المنطقة التى اعتاد السير سيرميكال ان يتمشى فيها كل ليلة.. فمضى فرانكلين امامنا، وخرجنا من باب الشرفة، ومعنا المس جراى.

وكنت، هى وانا، فى المؤخرة. ومن ثم قلت لها على انفراد:

- لا شك ان ما حدث كان صدمة عنيفة لكم جميعا؟

- اننى اكاد لا اصدق ما حدث.. لقد أويت الى فراشى أمس، وما كدت استغرق فى النوم حتى رن رجال الشرطة جرس الباب الخارجى، وسمعت وقع اقدام تجرى هابطة، فنهضت لارى ماذا حدث، وقد رأيت ديفريل والمستر كلارك يحملان المصابيح للمضى الى الخارج.

- ما هو الوقت الذى اعتاد فيه السير كلارك ان يعود من جولته المسائية؟

- فى العاشرة الا ربع كالمعتاد.. وكانت عادته ان يدخل بمفرده من باب جانبى حيث يمضى الى فراشه احيانا فورا، وفى احيانا اخرى يقصد الى احد الجناحين اللذين يضمان تحفه الثمينة.

- ولولا ان رجال الشرطة اتصلوا تليفونيا ليسألوا عنه، لما اكتشف احد غيابه الا فى صباح هذا اليوم.

- لا شك ان الحادث كان صدمة رهيبة لزوجته المسكينة؟

- ان الليدى كلارك تكاد تعيش فى شبه غيبوبة بسبب المورفين. واعتقد انها فى حالة لا تكاد تسمح لها بمعرفة ما يجرى لها تماما.

وكنا عندئذ قد خرجنا من باب الحديقة الكبيرة الى ساحة العاب الجولف، وبعد ان اجتزنا ركن الساحة، اخذنا نهبط فى حارة ملتوية شديدة الانحدار.

وقال فرانكلين كلارك وهو يشير الى نهاية الحارة:

- انها تؤدى الى شاطئ (البرى كاف). ولكن البلدية انشأت منذ

عـامين طريقـا فـرعـيـا يمتـد من الطريق العـام، ويؤدى الى شـاطئ (برودسـاندز) ومنه الى (البرى كاف). ولهذا السبب قلما يستعمل احد هذه الحارة للمرور.

– وسـرنا فى الحارة حتى رأينا فـى نهايتها ممرا يؤدى الى شاطئ البحـر. وبعد ان سـرنا فيـه بين جوانب صخرية ورملية وعرة، وجدنا انفسنا ننفذ من مـرتفـع صخـرى على البحـر، وعلى الشـاطئ الـرملى المرصع بالاحجار البيضاء. وكانت الاشجار البيضاء تحيط بالمنطقة كلها وتصل الى حافة الماء. وعلى الجملة، كان المنظر ساحـرا بالوانه الطبيعية التى جـمعت فى مكان واحد بين خضرة الشجر، وصفرة الرمال وبياض الصخور وزرقة الماء.

وهتفت قائلا رغما عنى:

– ما اجمل هذا؟

واستدار فرانكلين نحوى بلهفة، وقال:

– اليس المنظر جميلا فعلا؟

– اننى لا ادرى لماذا يتـرك الناس مـثل هذه المناطق السـاحـرة ويذهبـون الى الريفـيـرا. لقـد جبت مـعظم انحـاء العـالـم فى مـختلف مـراحل عمرى، واشهد امام الله اننى لم اجد منطقة اجمل منظر من هذه.

وكانما تذكر الموقف ورهبته، فخجل من نفسه، وعاد الى الحديث الجاد الرزين، وقال:

– هذا هو الطريق الذى كان يتمشى فيه اخى كل مساء.. انه كان ياتى الى هذه البقعة حيث يستريح قليلا، ثم يعود من نفس الممر، ولكنه بدلا من ان ينحرف فى نهايته شمالا الى الحارة، ينحرف يمينا فيسير فى بعض الحقول حتى يعود الى القصر.

وأومأ كروم برأسه...

وعدنا من الطريق الذى اعتاد السيد سيرميكال ان يعود منه، حتى وصلنا الى نقطة فى منتصف المسافة الباقية على الوصول الى القصر، وفى جانب من احد الحقول، حيث عثر رجال الشرطة على جثة المجنى عليه.

وأومأ كروم برأسه قائلا:

– كان الامر سهلا جدا.. لقد تربص القاتل المجهول لاخيك وراء هذه الشجرة، ثم فاجأه من الخلف.

وارتعدت الفتاة التى كانت واقفة بجانبى.

وقال فرانكلين كلارك:

– تمالكى نفسك يا تورا.. ان الموقف عصيب فعلا.. ولكن لا جدوى من الانهيار العصبى.

تورا جراى؟

ـ انه اسم مناسب للفتاة.

وعدنا الى البيت حيث علمنا ان الجثة حملت منه بعد ان تم تصويرها.

وفيما نحن نصعد السلم الواسع، رأيت الطبيب يخرج من احدى

الغرف وفى يده حقيبته السوداء، فساله كلارك قائلا:

- هل لديك ما تقوله لنا يا دكتور؟

فهز الدكتور رأسه، قائلا:

- الحالة واضحة، وسوف احتفظ بالتفصيلات فى جلسة التحقيق. ولكنى أؤكد ان المجنى عليه لم يتعذب لحظة.. فقد كان الموت مباغتا سريعا.

ثم اردف قائلا:

- لسوف اصعد لارى الليدى كلارك.

واقبلت ممرضة مستشفى من نهاية الدهليز، فمضى الطبيب اليها، وصحبها..

ودخلنا الغرفة التى رأيت الدكتور يخرج منها. ولكننى لم البث ان خرجت منها مسرعا حيث وجدت توا جراى واقفة على رأس السلم، وقد ارتسمت على وجهها امارات عجيبة، فقلت لها متسائلا:

- مس جراى؟ هل حدث شئ؟

فحملقت فى وجهى برهة، ثم قالت بانفاس لاهثة:

- اننى افكر.. فى الحرف (د).

فنظرت اليها ببلاهة وقلت:

- الحرف (د)؟

- نعم.. الجريمة التالية.. لابد ان تفعلوا شيئا. لابد ان تحولوا دون

وقوعها باى ثمن.

واقبل فرانكلين كلارك من الغرفة وقال:

- ماذا بك يا تورا؟ ما هذا الذى تقولين؟

- اقول يجب وقف هذه الجرائم باى ثمن.

فقال وهو يعض على نواجزه:

- نعم، طبعا.. اننى اريد ان اتحدث مع المسيو بوارو عن.. عن..

ثم ارسل العبارة التالية على غير انتظار:

- عن المفتش كروم.. هل هو كفء للقيام بهذا العبء؟

فقلت له ان المعروف عنه انه من اكفأ رجال ادارة المباحث العامة.

فصمت كلارك برهة، ثم قال:

- ان لدى خطة قد تؤدى الى الايقاع بذلك المجرم المجهول يا مسيو بوارو، ولكننا سنتحدث عن هذا فى وقت اخر.. والان سأذهب لارى الليدى كلارك.

ونظرت الى المس جراى، فلما رأيت امارات التفكير العميق مرتسمة على جبينها، قلت لها بعد تردد بسيط:

- فيم تفكرين يا مس جراى؟

- اننى اتساءل اين هو الان... ذلك القاتل. لقد مضت اثنتا عشر ساعة منذ وقوع الجريمة الثالثة. اليس ثمة ساحر يمكن ان يقول لنا اين هو الان؟.. وماذا يفعل؟

فقلت:

- ان رجال الشرطة يبحثون...

وافـاقت تورا جـراى من ذهولهـا على كلمـاتى العـادية، ثم أومـأت برأسها وقالت:

- اجل.. طبعا.

وفيما هى تهبط درجات السلم، رحت اردد فى ذهنى كلماتها:

(ترى اين هو الان؟ وماذا يفعل؟).

❋ ❋ ❋

لا يرويه الكابتن هاستنج

غادر المستر الكسندر بونابرت سوست مسرح توركاى مع الخارجين بعد أن استمتع بمشاهدة الفيلم العاطفى جدا... (ليس عصفورا...).

ورمش بعينيه فى شمس ما بعد الظهيرة، وتلفت حوله كعادته دائما، أو على الأصح، كما يفعل الكلب الضال فى الحياة.

وغمغم لنفسه (أنها فكرة..!).

وانطلق باعة الصحف حوله يصيحون: (آخر طبعة.. مجرم مجنون فى بلدة سيرستون)

وكانوا يحملون لافتات مكتوبا عليها بالخط العريض: (جريمة سيرستون... آخر طبعة).

ودس المستر سوست يده فى جيبه، فوجد قرشا اشترى به نسخة من إحدى الصحف المسائية.. ولكنه لم يتصفحها فورا.

ومضى إلى حدائق (البرنسس جاردنز) حيث سار فى بطء وتمهل الى مقعد يواجه ميناء توركاى، فجلس عليه.. وفتح الصحيفة حيث واجهته العناوين الرئيسية بهذه الأنباء:

(مصرع السير سيرميكال كلارك).

(مأساة رهيبة فى بلدة سيرستون).

(المجرم المجهول مجنون رهيب).

وتحت هذا كله قرأ ما يلى:

(روعت البلاد منذ شهر واحد بمصرع الفتاة الشابة الحسناء بيتى بارنارد فى مصيف بكسهيل. ولعلنا نذكر انه وجد بجانب الجثة دليل (ا. ب. س) للسكك الحديدية. وكذلك عثر رجال المباحث على دليل من هذا النوع بجانب جثة السير سيرميكال كلارك. ومن ثم يرى رجال المباحث أن مرتكب الجريمتين مجرم واحد. فهل يمكن أن يكون ثمة مجرم مجنون يعيث فسادا فى مصايفنا).

وغمغم شاب فى قميص ملون وبنطلون رمادى، كان جالسا بالقرب من المستر سوست، قائلا:

- شئ مزعج..!

وجفل المستر سوست فى جزع، ولكنه تمالك نفسه وقال:

- آه.. أجل.. أجل.

ولاحظ الشاب أن يدى الرجل الكهل الجالس بجانبه ترتعدان

بحيث كان عاجزا عن إمساك الصحيفة بهما.. فقال له:

- إن الإنسان لا يستطيع أن يواجه مجرما مجنونا كهذا بالطرق المألوفة.. واعجب من هذا أن الواحد منهم لا تبدو عليه مظاهر الجنون فى اغلب الأحوال.

- اعتقد هذا..

- ويلوح أن الحرب هى المسئولة عن كثرة هذه الإصابات العقلية.

- أظن انك.. انك على حق فى هذا.

- إننى ابغض الحرب.

فالتفت إليه المستر سوست، وقال: كلنا نكره الأوبئة ومرض النوم والمجاعات والسرطان.. ولكنها مصائب لابد من وقوعها.

فقال الشاب بلهجة التأكيد:

- ولكن الحروب مصائب يمكن تلافيها.

وضحك المستر سوست.. ضحكا عاليا ولمدة طويلة. وجزع الشاب بعض الشئ، وقال لنفسه: (إن الرجل مجنون) ثم قال بصوت مسموع:

- إننى آسف يا سيدى.. اعتقد انك اشتركت فى الحرب الأخيرة!

- اجل.. وقد اصابتنى فى عقلى.. أن عقلى لم يعد كما كان أبدا.. إن الصداع يلازمنى دائما بشكل لا يحتمل.

- أوه، إننى آسف لهذا..

- وفى بعض الأحيان، أكاد لا اعرف ما افعله من فرط الألم..

فقال الشاب وهو ينهض مسرعا:

- أحقا؟.. آه.. يجب أن أمضى الآن، فأنى على موعد.

وبقى المستر سوست فى مكانه.

واخذ الناس يسيرون أمامه ذهابا وجيئة.

وكان معظمهم يتحدثون عن الجريمة.

وطوى المستر سوست صحيفته ووضعها فى جيبه، ونهض فى طريق العودة إلى المدينة. ورأى فى طريقه فتيات كثيرات.. جميلات، ضاحكات، يغازلن بالنظرات والابتسامات الشبان والرجال الذين يمرون بهن فى الطريق.

ولكن لم تفكر واحدة منهن فى أن تلقى مجرد نظرة واحدة على المستر سوست.



بوارو يلقى حديثا

بينما كانت الصحف تمعن فى الاثارة عن المجرم المجهول وتحذر الناس منه، وتكتب بالخط العريض (أنه قد يكون بجانبك الآن) كان بوارو من جانبه قد قرر أن يعقد اجتماعا مع أقرب الناس الى الضحايا الثلاث ليتحدث اليهم، وليحاول أن يعتصر منهم كل ما يمكن أن يكون مختزنا فى عقولهم.

وكان الذين أرسل يدعوهم الى الحضور هم: مارى دراور ابنة أخت المسز آسكر، وميجان بارنارد أخت بيتى بارنارد، ودونلد فريزر، وتورا جراى، وفرانكلين كلارك.

وفى اليوم المحدد للاجتماع، وصل المستر كلارك أولا.. وقبل الموعد بنحو نصف ساعة، بناء على رغبة بوارو، وقد قال بعد أن تبادلنا معه التحية واستقر فى مجلسه:

- اننى يا مسيو بوارو غير مطمئن الى كفاءة المفتش كروم. أعتقد

أن هذه الجرائم تحتاج الى عبقرية بوليسية خاصة.. ولولا المشاغل الكثيرة التى ينبغى أن أقوم بها بعد وفاة أخى، لخصصت وقتا أطول لكى أضع نفسى تحت أمركم. ولكى أتعاون معكم على منع وقوع الجريمة الرابعة.

– اذن فأنت ترى أن المجرم سيستمر فى ارتكاب جرائمه.

– حسب ترتيب الحروف الهجائية.. ألا ترى أنت هذا؟

– بكل تأكيد..

– اذن يجب أن ننظم أنفسنا لمقاومته.

– ألديك اقتراح فى هذا الشأن؟

– ما دمنا نحن أقارب المجنى عليهم سنجتمع الليلة هنا، فلماذا لا نكون فيما بين أنفسنا (فرقة خاصة) تعاون رجال المباحث فى الايقاع بالمجرم الرهيب؟

– فكرة جيدة.

– يسرنى أنك موافق عليها.. ولا شك أننا بتعاوننا معا، قد نعثر على الرجل الغريب الذى كان يحوم حول مسرح كل جريمة قبل ارتكابها.

– وهل تقترح أن تنضم المس جراى الى هذه الفرقة رغم أنها غير قريبة لاحد المجنى عليهم؟

فاضطرم وجه كلارك، وقال:

ـ أعتقد أنها ستعاوننا كثيرا، لانها عملت مع أخى سنتين، وهى تعرف المناطق المجاورة لمسرح الجريمة الأخيرة معرفة تامة، كما تعرف معظم المقيمين فيها بصفة دائمة. أما أنا فقد كنت غائبا عن البلدة فترة طويلة تبلغ نحو عام ونصف عام.

فقال بوارو بعطف:

– كنت فى الشرق.. فى الصين؟ أليس كذلك؟

– نعم.. كنت أشترى لأخى مجموعات التحف الخزفية الثمينة التى تعرض فى الأسواق العالمية، لا سيما فى الصين نفسها.

– حسنا يا مستر كلارك، لا شك أنك كنت ذا فائدة كبيرة لاخيك الراحل.

وبعد نصف ساعة، كنا جميعا نجلس حول مائدة الاجتماع. وكانت الفتيات الثلاث يختلفن، من ناحية المظهر والشكل، اختلافا كبيرا. فتورا جراى الصارخة الجمال الناصعة البياض. وميجان بارنارد الخمرية ذات الشعر الاسود الاثيث ووجهها الجامد التعبير الشبيه بوجوه الهنود الحمر، ومارى دراور بثوبها الاسود البسيط ووجهها الذى ينم عن البراءة والذكاء. أما الرجلان، فكان فرانكلين كلارك بجسمه الكبير ووجهه الملوح ولباقته فى الحديث، يختلف كثيرا عن دونالد فريزر الهادئ الرزين الخجول.

وبدأ بوارو الحديث قائلا:

– أيها السادة والآنسات.. أنتم تعرفون الغرض من اجتماعنا هنا.

فبرغم أن رجال الشرطة لا يألون جهدا فى اداء واجبهم للقبض على ذلك المجرم المجهول، الا أننى أعتقد أن اتحادنا، نحن أصحاب الشأن فى هذه الجرائم، قد يؤدى الى كشف بعض هذا الغموض الذى يكتنف هذه الجرائم.

وبعد برهة صمت، استطرد يقول:

- اننا الآن أمام ثلاث جرائم راح ضحيتها سيدة عجوز، وفتاة فى معية الصبا، ورجل كهل.. وليس يربط بينهم جميعا الا أن الجانى عليهم رجل واحد. وهذا يعنى أن هذا الشخص الواحد كان موجودا فى أماكن الجرائم الثلاث، وليس من شك أيضا فى أن هذا الرجل -وقد يكون امرأة- على جانب كبير من الدهاء رغم اختبال عقله، وذلك لأنه استطاع حتى الآن أن يفلت من أيدينا، والا يترك وراءه أى أثر يقودنا اليه.

وصمت بوارو برهة أخرى قبل أن يستطرد قائلا:

- الا أن هناك معالم يمكن أن تحدد شخصية ذلك المجرم المجهول، ويمكن أن توضح بعض الغموض الذى يكتنف الموقف. فمثلا، انه لم يذهب الى بكسهيل فى منتصف الليل ليجد امامه فتاة يبدأ اسمها بالحرف (ب) على الشاطئ جاهزة للقتل..

وهنا قال دونالد فريزر بصوت ينم عن الألم النفسى العميق:

- هل يستلزم الأمر أن ندخل فى هذه التفصيلات؟

فقال بوارو مستديرا اليه:

- من الضرورى جدا أن نناقش كل صغيرة وكبيرة فى هذه

الجرائم.. فالموقف لا يحتمل المجاملة أو مراعاة العواطف الخاصة. كنت أقول أن المصادفة وحدها لم تكن المسئولة عن التقاء المجرم المجهول بالمس بيتى بارنارد. لابد أنه كان هناك نوع من التمهيد وحرية الاختيار، أى لابد أنه قام بعملية استطلاعية لمسرح الجريمة.. كان عليه أولا أن يتأكد من بعض الحقائق.. وكان عليه أن يحدد أفضل وقت يرتكب فيه جريمة اندوفر، وأن يعرف خير مكان يرتكب فيه جريمة بكسهيل، وأن يلم بعادات السير سيرميكال كلارك. ولهذا كله أعتقد أنكم فى مجموعكم تعرفون أشياء فى قرارة أنفسكم دون أن تدركوا أنكم تعرفونها.

ولما ارتسمت أمارات الدهشة وعدم الفهم على وجوهنا جميعا، ابتسم بوارو، وقال:

- أن العقل قد يختزن معلومات غامضة لا تظهر الا بالحديث والمناقشة. واذا كان موضوع المناقشة محددا، فربما كان فى ذهن كل منكم جزء معين بشأن هذا الموضوع، والحديث وحده هو الذى يجمع هذه الأجزاء لكى تتضح جميعا فى صورة واحدة.

وهنا تمتمت ميجان بارنارد قائلة:

- كلا..

فلما نظر بوارو اليها متسائلا، أردفت قائلة بصوت ينم على اليأس:

- مجرد كلام نظرى لا يعنى شيئا.

- ان الكلام يا آنسة هو الثوب الذى يبرز الأفكار.

وقالت مارى دراور:

- أعتقد يا مس بارنارد أن المسيو بوارو على حق.. فليس كالحديث المتبادل بين عدد من الاشخاص فى موضوع واحد، محكا لابراز آراء وصور ذهنية وذكريات كانت مختزنة فى أعماق الذهن البشرى.

فقال كلارك:

- وأنا أوافق على هذا الرأى.

- ما رأيك يا مستر فريزر؟

- أننى أرتاب فى جدوى هذه الطريقة.

- وأنت يا مس جراى؟

- أعتقد أن استعراض وجهات النظر بالحديث المتبادل عن موضوع معين لابد أن يأتى بجديد فى هذا الموضوع.

وهنا قال بوارو:

- اذن أرجو من كل منكم أن يعتصر ذاكرته ليتذكر كل ما يمكن أن يتذكره قبل وقوع كل جريمة.. ولنبدأ بالمستر كلارك.

فقال المستر كلارك وهو يجمع بيده ثنايا جبينه:

- ماذا فعلت فى صباح اليوم الذى قتل فيه أخى؟ آه.. ذهبت للصيد فى زورق شراعى، وقد اصطدت ثمانى سمكات كبيرة. وكان الجو صحوا. وعدت الى البيت فى موعد الغداء. واذكر أن الحساء الايرلندى كان بين أصناف الطعام. ونمت.. ثم استيقظت وشربت

الشاى. وكتبت بعض الرسائل، وفاتنى وضعها فى الصندوق فى الموعد المناسب، فركبت السيارة الى بلدة بابيتون لاصدرها. وعدت فى موعد العشاء.. وانى لاشعر بالخجل حين أقول أننى قرأت للمرة الثانية كتاب مغامرات نسبيت الذى كنت مشغوفا به منذ عهد التلمذة. ثم رن جرس التليفون..

فقال بوارو مقاطعا:

– لا داعى لأن تذكر ما حدث بعد هذا لانه لا يهم.. وانما المهم هو أن تذكر هل رأيت واحد وأنت فى طريقك الى الصيد صباحا!

– كثيرا من الناس.

– هل يمكنك أن تتذكر شيئا عنهم أو عن بعضهم؟

– لا شئ الآن.

– هل أنت متأكد من هذا؟

– دعنى أتذكر.. آه.. أذكر أنى رأيت سيدة بدينة لفتت نظرى بثوب سباحتها الاصفر المخطط، وكان معها طفلان.. ورأيت شابين يلاعبان كلبا صغيرا على البلاج، وفتاة ذهبية الشعر كانت تضحك عاليا وهى تسبح.. عجبا! أن بعض الذكريات تطفو فجأة كأنها الصور المتحركة.

– حسنا جدا.. وبعد ذلك.. ألم تر شيئا أمام البيت، أو فى الحديقة أو عندما خرجت لتصدير رسائلك؟

– رأيت فى الحديقة البستانى يروى الشجر، وكدت اصطدم بصبى يركب دراجة أثناء ذهابى الى بابيتون. وسمعت امرأة تتشاجر

بصوت مرتفع مع صديق لها.. هذا كل ما اتذكره.

والتفت بوارو الى المس جراى، وقال لها:

– وأنت يا مس جراى؟

فقالت بصوتها الواضح الرزين:

– فرغت من مراسلات السير سيرميكال فى الصباح، وتحدثت مع مديرة البيت فى البرنامج اليومى، وكتبت بعض الرسائل وانشغلت بعد الظهر ببعض أشغال الابرة، والواقع أن من العسير أن أذكر كل شئ، فقد كان اليوم من الايام الرتيبة العادية. وأخيرا أويت الى فراشى فى ساعة مبكرة.

– وأنت يا مس بارنارد، ألا يمكن أن تتذكرى ماذا حدث فى آخر مرة رأيت فيها أختك؟

– رأيتها قبل وفاتها بأسبوعين.. وكنت قد عدت الى البيت لاقضى نهاية الاسبوع، يومى السبت والاحد. وكان الجو لطيفا، فذهبنا الى مصيف هاستنجز حيث سبحنا فى بحيرته المشهورة.

– وعن أى شئ كان حديثكما معظم الوقت؟

– عنفتها كثيرا على ميلها الى اللهو والعبث بلا تحفظ.

– وماذا أيضا؟ عن أى شئ كان حديثها هى؟

– تحدثت عن ضيق ذات يدها، وعن قبعة جديدة وفساتين للصيف، وعن دونالد قليلا.. وقالت أيضا أنها لا تحب زميلتها فى

العمل ميللى هيجلى.. وضحكنا كثيرا على تصرفات مارون، مديرة المقهى.. ثم، لا أتذكر أكثر من هذا.

- معذرة يا مستر فريزر.. ألم تذكر لك يا مس بارنارد أى شئ عن رجل ما كانت تنوى أن تقابله؟

فقالت ميجان بصوت جاف:

- انها ما كانت لتجرؤ أن تقول لى شيئا من هذا القبيل.

واستدار بوارو الى دونالد فريزر بشعره الاحمر وقال:

- مستر فريزر.. عندما ذهبت لانتظار بيتى حتى تخرج من المقهى، ألم تشاهد أحدا لفت نظرك بصفة خاصة؟

- لا.. كان المصيفون كثيرين.

- ألم يلفت نظرك شخص معين منهم؟.. حاول أن تعتصر ذهنك.

فقال الشاب بعناد:

- لم أر غير أشخاص عاديين، لم يكن بينهم واحد يلفت النظر.

- وأنت يا مارى دراور.. أعتقد أن خالتك كانت تراسلك!

- أجل يا سيدى.

- متى أرسلت اليك آخر رسالة؟

ففكرت مارى برهة قبل أن تجيب قائلة:

- قبل وفاتها بيومين.

- وماذا قالت فيها؟

- قالت ان الشيطان العجوز -تعنى زوجها- حاول أن يبتز منها مبلغا من المال زيادة عن المبلغ المتفق عليه، ولكنها أفزعته وجعلته يهرب من وجهها، وانها كانت تتوقع حضورى اليها يوم الابعاء -يوم عطلتى الاسبوعية- لنذهب معا الى السينما. وكان ذلك يوم عيد ميلادى أيضا يا سيدى.

وطفرت الدموع فى عينى مارى، ولكنها سرعان ما تمالكت نفسها ثم قالت:

- معذرة يا سيدى. لقد غلبنى الحزن على أمرى وأن بعض الذكريات.

فقال كلارك:

- أننى أدرك شعورك يا مس دراور، فان بعض الذكريات البسيطة قد يكون لها أكبر الاثر فى النفس.. فمثلا أنا لا أنسى ما حييت منظر سيدة صدمتها سيارة كبيرة فقتلتها.. وكانت جثتها ملقاة، وبجانبها حذاء جديد تناثر من صندوقه. لقد خيل الى أن الحذاء يرقد فى حزن وأسى بجوار السيدة التى ماتت قبل أن ترتديه.

وهنا هتفت ميجان قائلة بشئ من الحماس:

- هذه هى الحقيقة.. نعم.. هذا ما يحدث حقا. لقد حدث نفس الشئ لاختى بيتى. ذلك أن أمى كانت قد اشترت جواربين لتقدمهما اليها هدية.. اشترتهما فى نفس يوم مصرعها. وقد رأيت أمى بعد ذلك، وهى تمسك بالجواربين وتبكى بحرارة وتقول:

(اشتريت هذين لبيتى؟.. اشتريت هذين لبيتى، ولكنها لم ترهما..).

وتململ دونالد فريزر فى مقعده، وبادرت تورا جراى الى تغيير مجرى الحديث قائلة:

- ألا تفكر فى وضع خطة معينة للمستقبل؟

فقال فرانكلين كلارك، وقد استعاد حالته الطبيعية:

- طبعا.. طبعا.. فعندما تصل الرسالة الرابعة، يجب أن نوحد جهودنا. والى أن يحدث هذا، أرجو أن يحاول كل منا أن يستعيد فى ذهنه كل الذكريات عن حياته قبل وقوع كل جريمة مباشرة. وما رأى المسيو بوارو أخيرا؟..

- ان لدى بعض المقترحات.

فأسرع فرانكلين كلارك وتناول من جيبه مفكرة وقلما، وقال:

- عظيم جدا.. اذكرها لنا بالترتيب..

- أعتقد أن الجرسونة ميللى هيجلى ربما تعرف شيئا قد يفيدنا فى هذا الموضوع.

فقال كلارك وهو يكتب:

١- ميللى هيجلى.

- واقترح طريقتين لاستدراجها الى الحيث، أما أن تثيرها الآنسة ميجان حتى تدفعها الى الافضاء بكل ما تعرفه عن بيتى، وعندئذ قد نعرف الرجل المجهول الذى قيل أنها تنزهت معه مرتين، وأما أن يتقرب

المستر فريزر اليها، ويتظاهر بمغازلتها، ويستدرجها للحديث عن بيتى فى هذا الشأن.

وهنا قال دونالد فريزر:

– هل هذا اجراء ضرورى؟

– لا، ليس ضروريا.. ولكنه مجرد محاولة.

وعندئذ أسرع فرانكلين كلارك يقول:

– هل أجرب أنا هذه الطريقة مع ميللى يا مسيو بوارو؟ فان لى وسائلى الخاصة فى الحديث الجذاب مع الفتيات..

وقالت تورا جراى بحدة:

– وهل لديك وقت فراغ كاف للقيام بمثل هذه المحاولات؟

فتلاشت الابتسامة من وجه فرانكلين، وهو يقول متراجعا:

– آه.. صدقت ياتورا.. ان أعمالى كثيرة فى هذه الأيام.

وقال بوارو: أعتقد أنه لا يوجد شئ كثير يحتاج الى اهتمام خاص فى البيت يا مستر كلارك، وربما كان فى مقدور المس جراى أن تحل محلك فى القيام.

فقاطعته تورا جراى بقولها:

– ولكننى تركت عملى فى قصر السير سيرميكال كلارك.

– آه! اننى لم أعرف هذا.

وقال فرانكلين كلارك:

- من الطبيعى أن تفضل المس جراى البحث عن عمل مناسب فى لندن، بعد وفاة أخى.

فتنقل بوارو بنظراته الحادة بين الاثنين، ثم قال فجأة:

- كيف حال الليدى كلارك؟

واضطرم وجه تورا جراى، بينما قال فرانكلين كلارك:

- فى اسوأ حال.. وبهذه المناسبة، هل يمكنك يا مسيو بوارو أن تذهب لمقابلتها. لقد أعربت عن رغبتها فى رؤيتك.

- بكل تأكيد يا مستر كلارك. هل يمكن أن أقوم بزيارتها بعد غد؟

- حسنا.. لسوف أخبر الممرضة بذلك حتى تجعلها فى حالة تستطيع معها أن تقابلك.

واستدار بوارو الى مارى دراور وقال:

- وأنت يا مس دراور.. أعتقد أن فى مقدورك أن تقدمى لنا خدمة جليلة اذا ذهبت وتحدثت مع بعض الاطفال من جيران خالتك فى اندوفر.

فقالت مارى بدهشة:

- الاطفال؟

- نعم.. ان الاطفال عادة ينفرون من الغرباء، ولكنهم لن ينفروا من الحديث معك. ومن المحتمل جدا أن يكون أحدهم قد رأى شخصا

غريبا عن البلدة، وهو يدخل دكان خالتك أو وهو يحوم حوله.

وقال كلارك:

- وماذا عنى وعن المس جراى، هذا اذا لم أذهب الى بكسهيل!

ولما تردد بوارو برهة، قال كلارك مستطردا:

- ما رأيك لو اننى نشرت اعلانا فى الصحف موجها الى المجرم المجهول، أقول له فيه أن هركيول بوارو يعرف الكثير عنه، وأن فى مقدورى انقاذه اذا دفع مائة جنيه، وليكن نص الاعلان هكذا: (رسالة عاجلة الى أ. ب. س. ان هـ. ب. وراءك. مائة لسكوتى. اتصل بـ (ل. م. ن) انها فكرة بدائية ولكنها قد تفيد).

- هذا ممكن جدا.

- ان هذا الاعلان قد يغريه باطلاق النار على.

فقالت تورا جراى بحدة:

- أنها فكرة خطرة، وحمقاء.

- ما رأيك يا مسيو بوارو؟

فابتسم بوارو وقال:

- أعتقد أنه لا ضرر منها.. ومعذرة يا مستر كلارك، فانه يلوح لى أنك مازلت طفلا فى أعماق نفسك.

فاضطرم وجه فرانكلين كلارك، وقال وهو يكتب فى مفكرته:

- حسنا.. أن البرنامج الآن هو:

أ - المس بارنارد مع المس هيجلى.

ب - المستر فريزر مع هيجلى.

س- المس دراور مع أطفال أندرفر.

د- الاعلان.

ورغم أن هـذا البـرنـامج كـان فـى رأيى لن يؤدى الى شئ مـهم، الا أننى رأيت أنه لن يؤدى الى ضرر فى الوقت نفسه.

وبعد لحظات قليلة، انفض الاجتماع.



الرسالة الرابعة

كان طابع الحزن واضحا على قصر السير سيرميكال كلارك، عندما ذهبنا فى الموعد المحدد لمقابلة الليدى كلارك.

ولعل جو سبتمبر المقبض كان له أثره فى شعورنا بذلك الطابع الحزين المخيم على القصر. وكانت معظم غرفاته مغلقة، والستائر مسدلة على نوافذها، كما أن الغرفة التى جلسنا ننتظر فيها كانت رطبة كئيبة.

وأقبلت ممرضة محترفة ينم مظهرها على الكفاءة، وقالت:

– المسيو بوارو؟.. اننى الممرضة كابستيك.. وقد تلقيت رسالتك التى ذكرت فيها موعد حضورك لزيارة الليدى كلارك.

– أرجو أن تكون فى حالة صحية تسمح بمثل هذه الزيارة.

– الواقع أن حالتها الصحية أحسن قليلا.

– انى سعيد اذ أسمع هذا.

– الواقع أن الدكتور ليجون اتبع معها طريقة جديدة للعلاج.. ورغم أن التحسن بطئ الا أنه واضح.

– ولكن يقال أنها لن تسترد صحتها مهما يكن الحال!

فقالت الممرضة، وقد صدمها هذا الحديث الصريح:

– ان الانسان مهما بلغت براعته فى الشئون الطبية لا يستطيع أن يصدر حكما جازما كهذا.

– ولكننى أعتقد أن وفاة زوجها كانت صدمة عنيفة لها.

– ربما يكون هذا صحيحا.. لو انها كانت فى حالتها الطبيعية، أما وهى الآن فى شبه غيبوبة، فأعتقد أن الصدمة ليست بالقوة التى تظنها.

– اسمحى لى أن أوجه اليك هذا السؤال يا مس كابستيك.. هل كانت الليدى كلارك شديدة التعلق بزوجها؟

– أوه، أجل.. لقد كان الاثنان زوجين سعيدين. ولا عجب أن شعر المسكين السير سيرميكال كلارك بأشد الجزع عليها حين علم حقيقة مرضها.. ويمكن القول أن أحزانه بسببها كانت بالغة جدا فى أول الأمر.

– فى أول الأمر؟.. وبعد ذلك؟

– لا تنس أن الانسان يتعود على كل شئ، حتى على المرض المزمن.. وقد اعتاد السير كلارك على مرض زوجته، فخفت أحزانه بعد الصدمة الأولى. ثم لا تنس هوايته فى جمع الخزف الثمين.. وليس

كالهواية عزاء للانسان فى مثل هذه الكوارث. لقد كانت تشغله كثيرا، لا سيما عندما يذهب الى المزادات الكبيرة فى لندن، أو عندما يقضى الساعات الطوال مع المس جراى فى تصنيف المجموعات وترتيبها.

– آه.. المس جراى.. لقد تركت الخدمة هنا كما علمت!

– نعم.. وأنه لامر يدعو للأسف.. ولكن للزوجة عذرها، لا سيما اذا كانت مريضة –حين يمتلئ رأسها بالهواجس والشكوك. وأنى شديدة الاعجاب بالمس جراى عندما رفضت أن تناقش الليدى كلارك، فاعتزلت الخدمة فورا.

– اذن فالليدى كلارك هى التى أمرت بطردها؟

– طبعا..

– هل كانت تكرهها دائما؟

– لا. لم تكن تكرهها فى أول الأمر، بل على العكس، كانت تميل اليها. حسنا، كفى ثرثرة من جانبى الآن. أن الليدى كلارك فى انتظاركما.

وصعدنا معها الى غرفة بالطابق الأول، وكانت غرفة مضيئة لطيفة جيدة الأثاث، وقد رأينا فيها الليدى كلارك جالسة على مقعد وثير بالقرب من النافذة. وكان وجهها الهضيم ينم على الألم والارهاق، كما كانت شاردة زائغة النظرات.

قالت لها الممرضة:

– هذا هو المسيو بوارو الذى أردت أن يزورك.

فقالت السيدة فى غموض وذهول:

- آه، نعم.. نعم.. المسيو بوارو.

ولما صافحته، قال وهو يقدمنى:

- هذا صديقى الكابتن هاستنج بالليدى كلارك.

- كيف حالك يا كابتن هاستنج.. أنى سعيدة بزيارتكما.

وجلسنا على مقعدين بالقرب منها.. ولاح لى أنها استغرقت فجأة فى غيبوبة، ولكنها لم تلبث أن هزت رأسها كأنما تفيق من حلم، ثم تقول:

- اننا سنتحدث عن كار.. أليس كذلك؟ عن مقتل كار..!

ثم تنهدت وهى تهز رأسها، كأنما تتحدث الى شخص مجهول، واستطردت تقول:

- من كان يظن أن نهايتنا ستكون هكذا.. نهايته ستكون قبل نهايتى؟ ولكنها الدنيا..

ومرة أخرى، عادت تقول وكأنما تحدث نفسها:

- لم أكن أصدق أبدا أنه سيموت وهو فى الستين.. لقد كان يتمتع بصحة جيدة، وان من يراه كان يحسبه فى الاربعين من عمره.. ولكن..

وبعد برهة صمت أخرى طويلة، قالت فجأة:

- نعم.. اننى شاكرة لكما تفضلكما بالحضور. لقد طلبت منى فرانكلين أن أراك يا مسيو بوارو، ووعدنى بأن يبلغك رغبتى. وكل ما

أرجوه ألا يرتكب حماقة من هذه الحماقات التى يندم عليها الرجل فيما بعد.. لا سيما فى مسألة الزواج. انه رغم بلوغه الأربعين من العمر، سهل الانقياد.. وأعتقد أن معظم الرجال هكذا أمام الفيات الجميلات.. وهذا يدل على أنهم أطفال فى أعماق نفوسهم، ولا سيما فرانكلين.. أنه دائما طفل رغم مرور الأعوام.

فقال بوارو:

- أعتقد أنه مندفع بطبيعته!

- أجل.. أجل.. أنه مندفع، وعلى جانب كبير من الشهامة، لا سيما مع الفتيات. وأنا أعتبر أن هذه ليست شهامة وانما هى حماقة.. وهكذا كان كار.. أيضا..

وتلاشى صوتها قليلا، وعادت الى الصمت. وبعد برهة تمتمت قائلة:

- ان المرض قاس، لا سيما اذا كان مصحوبا بنوبات من الالم.. فالمريض يعيش فى قلق دائم، لا يعرف متى ستهاجمه النوبة التالية.. وهل سيهاجمه الألم أو سيتوقف نهائيا.. آه معذر.

- أننى أقدر مشاعرك بالليدى كلارك.. والحياة مليئة بالمآسى.

- أجل.. أجل.. ولكن المرض يجعلنى أذهل عما حولى فى بعض الأحيان.. عن أى شئ كنا نتحدث؟.. آه.. نعم..

- عن شئ يتعلق بوفاة زوجك!

- وفاة كار..! مقتله.. يا للمسكين.. ويا للمجرم المسكين، لا شك

أنه مجنون، ولا شك أن جنونه نشأ بسبب هذه الحياة المليئة بالسرعة والضجيج التى نعيش فيها هذه الأيام.. انها حياة لم تعد تطاق.. اننى دائما اشفق على المجانين، فلا شك أن عقولهم المضطربة تثير فيهم أغرب الانفعالات. ثم أن سجنهم فى مكان منعزل أمر رهيب مزعج، ولكن.. ماذا يمكن للمجتمع أن يفعل غير هذا؟ لا سيما اذا بدأوا يقتلون الابرياء.

ثم التفتت نحو بوارو، وسألته فجأة:

– ألم تقبضوا عليه بعد؟

– لا.. لم نقبض عليه بعد.

– لابد اذن أنه كان يتسكع بالقرب من القصر فى ذلك اليوم.

– أننا فى موسم الاصطياف يا ليدى كلارك، والغرباء عن البلدة يكثرون بطبيعة الحال.

– أجل.. أجل.. نسيت هذا. ولكنهم عادة يبقون عند الشواطئ، ولا يصعدون الى المنزل.

– لم يقترب من المنزل أحد الغرباء فى ذلك اليوم بالليدى كلارك على كل حال.

فقالت السيدة بحماس مفاجئ:

– من قال هذا؟!

فأجاب بوارو مدهوشا:

- الخدم و.. والمس جراى.

- هذه الفتاة كاذبة..

وحملقت الى الليدى كلارك مدهوشا بدورى، بينما استطردت هى تقول:

- اننى لا أحبها، ولم أحبها أبدا.. وكان كار شديد الاعجاب بها وبكفاءتها، وكان يقول دائما انها فتاة يتيمة وحيدة فى الحياة.. وما عيب اليتم! أنه أحيانا يكون رحمة وبركة عندما يكون للابناء والد سكير عربيد فاسد الاخلاق وأم بلهاء.

وحاولت الممرضة أن تهدئ ثائرتها، ولكن الليدى كلارك استطردت قائلة:

- لقد أمرت بفصلها من الخدمة بعد وفاة كار مباشرة. والعجيب أن فرانكلين حاول بكل وقاحة أن يبقيها ويقنعنى أنها قد تكون ذات فائدة لى.. أنه أحمق، مندفع!.. انه طفل فى قرارة نفسه. وأنا لا أريد أن يختلط بفتاة ذات أهداف بعيدة مثلها.. لقد أمرت باعطائها مرتب ثلاثة أشهر، وخروجها من البيت فورا. وقد ذهبت وهى تتظاهر باللطف والدعة.. يا لها من فتاة داهية.

ومرة أخرى بذلت الممرضة جهدها لتهدئة الليدى كلارك.. فلما هدأت، قال بوارو:

- لماذا قلت انها كاذبة يا ليدى كلارك؟

- لان هذه هى الحقيقة.. ألم تقل لكم أنه لم يقترب أحد الغرباء

من القصر فى ذلك اليوم؟

- نعم!...

- حسنا جدا!.. لقد رأيتها بنفسى.. بعينى هاتين، من هذه النافذة، تتحدث مع رجل غريب تماما عن الناحية، أمام مدخل البيت.

- متى كان هذا؟

- فى صباح اليوم الذى قتل فيه زوجى.. فى نحو الساعة الحادية عشرة صباحا.

- وماذا كان شكل الرجل؟

- كان رجلا عاديا، لا يميزه عن غيره شئ.

- هل كان سيدا، أو.. بائعا؟!

- لا، لم يكن بائعا.. ولكنه كان رجلا رقيق الحال كما بدا من ملابسه.

واختلج وجهها بألم مفاجئ، فقالت الممرضة لنا:

- أرجو أن تتركاها لتستريح الآن.

وأطعنا الرجاء.. وخرجنا.

وقلت لبوارو، ونحن فى طريق العودة الى لندن:

- هذه حكاية غريبة جدا.. أعنى حكاية المس جراى والرجل الغريب.

– أرأيت يا هاستنج، ان كل شئ يثبت ما كنت أقوله لك كثيرا، وهو أنه لابد أن يحدث أمر ما ينير السبيل أمام العدالة.

– ولماذا كذبت الفتاة، وقالت أنها لم تر أحد الغرباء فى ذلك اليوم؟

– أن أبسط ما يمكن أن نفعله فى هذا الشأن هو أن نسألها.

– لنفرض أنها كذبت مرة أخرى.

– فى هذه الحالة ستزداد الأمور وضوحا.

– أننى يا بوارو لا أصدق أن يكون لفتاة كهذه علاقة برجل مجنون.

– تماما.. وهذا هو رأيى أيضا.

ومرة أخرى، راح بوارو يستعرض الجرائم الثلاث، ويحاول عبثا أن يجد بينها رابطة أخرى غير رابطة ارتكاب شخص واحد لها.

ووصلنا أخيرا الى مسكنه فى عمارات هوايتهافن. وقبل أن ندخل المسكن، قيل لنا أن رجلا ينتظرنا بداخله.

وتوقعت أن يكون الضيف المنتظر فرانكلين كلارك، أو المفتش جاب، ولكن لشد ما كانت دهشتى حين رأيت الشاب دونالد فريزر الذى نهض لاستقبالنا فى شئ من الارتباك.

ولم يضغط بوارو عليه لكى يدلى بالأقوال التى جاء من أجلها، وانما دعاه الى مشاركتنا فى وجبة طعام خفيفة، مع بضع كئوس من الشراب، وبعد ذلك قال له:

- لقد جئت من بكسهيل يا مستر فريزر.. أليس كذلك؟

- أجل.

- هل نجحت مع ميللى هيجلى؟

- ميللى هجيلى؟ هجيلى؟ اننى.. اننى فى الواقع.. اننى لم أرها.

ثم انفجر قائلا:

- بل اننى فى الحقيقة لا أعرف لماذا جئت الى هنا.

فقال بوارو:

- أنا أعرف..

- كيف يمكنك أن تعرف؟

- لقد جئت لان لديك أقوالا لابد أن تدلى بها الى أحد.. وأنا الشخص الذى ينبغى أن تدلى بها اليه.

- أتعتقد هذا؟!

- تماما..

وصمت الشاب برهة، قبل أن يقول فى خجل:

- أتؤمن بالاحلام يا مسيو بوارو؟

وكان هذا آخر ما توقعت أن أسمعه، ولكن بوارو كما لاح لى لم يدهش، وانما قال بهدوء:

- نعم.. هل رأيت حلما؟

– أجل.. وكان طبيعيا أن أحلم بها. ولكن ليس من الطبيعي أن يكون الحلم على هذا النحو الفظيع.

– أخبرنى به..

– كنت دائما أحلم أننى على البلاج أنتظر عودة بيتى من غيبتها، وكنت واثقا –فى الحلم طبعا– أنها ستعود يوما. وكان أشد ما يهمنى أن أعيد اليها حزامها.. يا الهى..

– وبعد..؟

– وتغير الحلم ليلة أمس.. فرأيتها جالسة على الشاطئ، ولكنها لم تشعر بى وأنا اقترب منها. يا الهى.. لقد فاجأتها من الخلف، ولففت الحزام حول عنقها، و.. خنقتها به!

وأخفى الشاب وجهه بين يديه، وقال:

– ولما ماتت تبينت أنها لم تكن بيتى، وانما أختها ميجان.

ورفع الشاب رأسه، وقال فى ألم:

– فما معنى هذا يا مسيو بوارو؟

– اشرب كأسك..

وعاد الشاب يسأل بعد أن أطاع الأمر:

– أخبرنى يا مسيو بوارو.. ما معنى هذا؟

ولم أعرف بماذا أجاب بوارو، لانى فى تلك اللحظة سمعت طرقات ساعى البريد على صندوق بوارو الخاص، فاندفعت الى الصندوق وما

كدت أتناول الرسالة التى وجدتها فيه حتى نسيت كل ما سمعت من دونالد فريزر، وانطلقت عائدا أجرى الى بوارو وأنا أهتف قائلا:

- لقد وصلت.. الرسالة الرابعة.

فوثب واقفا، واختطف الرسالة وفتحها، وقرأ فيها ما يلى بصوت مسموع: (لم تستطع أن تفعل شيئا، يا لخيبتك.. ماذا تفعل أنت ورجال المباحث؟ حسنا، حسنا.. أليست هذه متعة لطيفة. أين تكون الجريمة الرابعة؟

(يا لك من مسكين يا بوارو؟ أننى حزين من أجلك

(يجب يا رجل أن تتحرك.. فان الطريق لا يزال طويلا أمامنا

(هل يكون مسرح الجريمة التالية مدينة تيبررى؟

(لا.. لا.. أن هذا الحرف لا يزال بعيدا

(اذن ليكن موعدنا فى بلدة دونكاستر فى الحادى عشر من هذا الشهر.. وداعا).



دهاء المجرم

لم يكن في مقدور بوارو، أو رجال المباحث، أن يفعلوا شيئا -قبل وصول الرسالة الرابعة- الا الانتظار. وكانت فترة هذا الانتظار مرهقة للاعصاب الى حد مزعج. ولكن ما أن وصلت الرسالة الرابعة، حتى انطلقت جميع القوى، ككلاب الصيد، لمطاردة الفريسة.

لقد أسرع المفتش كروم بالقدوم الى مسكن بوارو من ادارة اسكتلانديارد. وفيما هو يبحث الموضوع معه، أقبل فرانكلين كلارك وميجان بارنارد.. وقال كروم لبوارو:

- سوف آخذ هذه الرسالة معى يا مسيو بوارو.. يمكنك أن تحتفظ بنسخة منها اذا شئت.

- لا.. لا داعى لهذا.

وسأل فرانكلين المفتش كروم قائلا:

- ماذا تنوى أن تفعل يا مستر كروم؟

- ان اليوم الحادى عشر من الشهر يوافق يوم الاربعاء من الأسبوع التالى، وهى فترة كافية لنثير اهتمام الرأى العام ونجعل الجميع يتعاونون معنا لمطاردة هذا المجنون. ولا شك أن كل مخلوق يبدأ اسمه بالحرف (د) سيكون على حذر.. كما أننا سنملأ البلدة برجال المباحث فى ملابس مدنيه.. وقد بدأنا فعلا فى اتخاذ هذه الخطوة.

فقال فرانكلين كلارك:

- من السهل أن يعرف الانسان انك رجل لا تهوى الالعاب الرياضية يا سيدى المفتش.

- ماذا تعنى يا مستر كلارك؟

- لأنك لا تعرف أن يوم الاربعاء التالى هو يوم الحفلة الرياضية السنوية فى دونكاستر، وأن سباق الخيل المعروف باسم سانت ليجير، سيجرى فى ذلك اليوم.

عندئذ قال المفتش فى حيرة:

- آه.. نعم.. هذا حق.

- أن (أ. ب. س) ليس بالرجل الابله، وأن كان مجنونا.

وخيم الصمت علينا برهة، كنا خلالها نتصور بلدة دونكاستر وهى تزدحم بجموع هواة الرياضة وسباق الخيل الوافدين من كل حدب وصوب.

وقال كلارك أخيرا :

- أعتقد أن الجريمة ستتم فى حلبة سباق الخيل، وربما أثناء انطلاق الجياد فى مضمار السباق.

فنهض المفتش قائلا :

- هذا من سوء الحظ.

وتناول قبعته وانصرف.. وسمعناه يتبادل الحديث فى الردهة الخارجية مع شخصية نسائية، ولم تلبث تورا جراى أن اقبلت قائلة بأنفاس لاهثة:

- أخبرنى المفتش كروم أن رسالة أخرى قد وصلت!

وأجاب فرانكلين كلارك، بينما كانت تورا تخلع معطف المطر :

- أنها بلدة دونكاستر هذه المرة، وفى اليوم الحادى عشر من هذا، أى فى عيد سانت ليجير.

وقال بوارو :

- لا يجب يا أبنائى أن نفقد الأمل.. لسوف نبذل جهودنا لنحول دون وقوع هذه الجريمة بأى ثمن. ومهما يكن ازدحام البلدة فى ذلك اليوم بهواة الرياضة، فان الضجة التى ستثيرها الصحافة تجعل كل شخص فى تلك البلدة، لا سيما الذى يبدأ اسمه بالحرف (د)، يشك فى الواقف بجانبه.. اننى واثق أن نهاية المجرم المجهول قد اقتربت.

وتنهدت تورا جراى، وقالت:

- لو اننا فقط نعرف عنه شيئا.. لو اننا نعرف فقط ما اذا كان طويلا أو قصيرا، عجوزا أو شابا.

وفجأة قال بوارو لها:

- بهذه المناسبة يا مس جراى، هل أنت واثقة تماما أنك لم تر شخصا غريبا بالقرب من المنزل فى يوم مقتل السير سيرميكال كلارك؟!

- نعم.. كل الثقة.

- عجبا! ولكن الليدى كلارك شاهدتك من نافذتها وأنت واقفة أمام مدخل القصر تتحدثين الى رجل غريب.

- لابد أن تكون الليدى كلارك واهمة.. أوه ولكن..

واضطرم وجه تورا جراى، وقالت بسرعة:

- لقد تذكرت.. تذكرت.. يا لى من حمقاء. الواقع أننى نسيت هذا الرجل، ولكنى أعتقد أنه ليس للأمر هذه الأهمية كلها. أنه مجرد مندوب لبيع الجوارب، رجل من المحاربين القدماء الذين يكتسبون رزقهم ببيع بعض منتجات الشركات. وكان قد اعترض سبيلى وأنا فى طريقى الى مدخل القصر، ولكننى اعتذرت له ولم أشتر منه شيئا.. أنه رجل مسالم هادئ من النوع الذى لا يترك فى النفس أى أثر.

وكان بوارو فى تلك اللحظة يضع رأسه بين يديه، ويهتز الى الامام والى الخلف وهو يتمتم لنفسه: (جوارب.. جوارب.. جوارب.. ولا شئ غير الجوارب.. منذ ثلاثة أشهر سمعت هذه الكلمة.. وسمعتها منذ

أيام.. وهأنذا أسمعها الآن..)

وانتصب فى جلسته، ورمقنى بنظرة حادة، وقال:

- أتتذكر يا هاستنج عندما كنا فى اندوفر، وعندما دخلنا الدكان، وصعدنا الى غرفة نوم المسز آسكر الواقعة خلفه، ورأينا على المقعد زوجا من الجوارب الجديدة! وانى لا ذكر الآن أننى اهتممت لسبب ما عندما حدثتنى يا مس بارنارد عن والدتك التى اشترت زوجين من الجوارب لاختك بيتى، وعن بكائها الحار لانها، أى بيتى، ماتت قبل أن تراهما.. وكان ذلك فى نفس يوم الحادث.

وتوقف بوارو عن الحديث فجأة، ثم راح يدور بعينيه فى وجوهنا قبل أن يستطرد قائلا:

- أترون؟ لقد تكرر هذا الأمر ثلاث مرات، فلا يمكن أن يكون مجرد مصادفة.. والآن، أخبرينى يا مس بارنارد، هل اشترت والدتك الجوارب من متجر أو من بائع متجول؟

- من بائع متجول.. وأنى أتذكر حديثها عن أولئك المندوبين البؤساء الذين يدورون على المنازل لبيع منتجات بعض الشركات والمصانع.

وهنا هتف فرانكلين كلارك قائلا:

- ولكن ما هى العلاقة بين بائع جوارب متجول وهذه الجرائم الرهيبة يا مسيو بوارو؟

فقال بوارو بحماس:

- سأقول لكم أيها الاصدقاء.. ان الامر لا يمكن أن يكون مصادفة. لقد وقعت ثلاث جرائم. وقبل وقوع كل جريمة كان ثمة رجل يبيع الجوارب فى مسرحها. فما معنى هذا؟ معناه أنه كان يستكشف الميدان الذى سترتكب فيه الجريمة.

ثم استدار نحو تورا جراى، وقال بسرعة:

- صفى لنا ذلك الرجل يا مس جراى.

فارتسمت الحيرة على وجه تورا جراى، وهى تقول:

- اننى.. اننى لا أدرى تماما.. كان رجلا عاديا.. فوق الاربعين.. يضع النظارة على عينيه، ويرتدى معطفا قديما.

- وماذا أيضا يا مس جراى؟

- لا أذكر.. كان متخفيا، فلم أر الشئ الكثير من ملامحه. المهم أنه رجل من النوع الذى لا يترك فى النفس أى أثر.

فأومأ بوارو برأسه وقال:

- صدقت يا آنسة.. ان هذا الرجل هو القاتل فعلا، أنه الشخصية الباهتة التى لا تثير انتباه أحد، فأرادت أن تثبت وجودها بهذه الجرائم الرهيبة.



لا يرويه الكابتن هاستنج

جلس المستـــر الكسندر بونابرت سـوست فى مكانه لا يريم.. وكان طعام الافطار أمامه كاملا، باردا، لم يلمسه. وعلى المائدة، صحيفة مفتوحة كان المستر سوست مستغرقا فى قراءتها.

ونهض من مكانه فجأة، وراح يذرع غرفته جيئة وذهابا، ثم لم يلبث أن تهالك جالسا على مقعد وثير بجانب النافذة ووضع رأسه بين يديه، وراح يكتم تأوهات الألم.

ولم يسمع صوت صرير الباب وهو يفتح، ولا وقع أقدام المسز ماربرى صاحبة المسكن المفروش، وهى تدخل ثم تقف وتقول:

– مستر سوست؟ ماذا بك؟.. هل أنت مريض؟

فرفع الرجل رأسه وقال:

– لا، لا شئ يا مسز ماربرى.. أننى فقط متوعك الصحة هذا الصباح.

والقت المسز ماربرى نظرة على مائدة الافطار، ثم قالت:

- أنك لم تلمس طعام افطارك، أهو الصداع مرة أخرى؟

- نعم، نعم.. وشئ من الدوار.

- أننى آسفة من أجلك يا مستر سوست.. هل ستخرج اليوم الى عملك أيضا؟

فوثب المستر سوست ناهضا يقول:

- آه، نعم، ان على أن أقوم بعمل مهم.. مهم جدا.

ولاحظت المسز ماربرى ارتعاد يديه من فرط الانفعال، فقالت:

- وهل.. وهل ستمضى بعيدا اليوم؟

- لا.. اننى ذاهب.. ذاهب.. الى.. الى بلدة شلتام.

والتقطت المسز ماربرى الصحيفة الواقعة على الارض لتعيدها الى المائدة، فلما وقعت نظراتها على العناوين الضخمة فى الصحيفة الأولى، قالت بصوت ينم عن الخوف:

- ليس فى الصحف اليوم حديث الا عن هذه الجرائم الرهيبة.. اننى أشعر بالارتعاد كلما قرأت عنها وأتذكر جرائم (السفاح جاك).

وتحركت شفتا المستر سوست، ولكن لم يصدر عنهما صوت، فاستطردت السيدة تقول:

- دونكاستر! أنها البلدة التى قال أنه سيرتكب فيها جريمته الرابعة غدا، أليس هذا شيئا رهيبا؟ لو أنى كنت أقيم فى هذه البلدة

واسمى يبدأ بالحرف (د) لهربت منها الى أقصى مكان.. ما رأيك يا مستر سوست؟

– لا أدرى يا مسز ماربرى.. لا أدرى.

– يقال أن آلافا من رجال الشرطة سيندسون بين المحتفلين بعيد سانت ليجير غدا للبحث عن ذلك المجرم المجهول.. أوه.. أن حالتك تسوء يا مستر سوست، هل آتى اليك بقليل من البراندى؟ من رأيى الا تخرج اليوم.

فشد المستر سوست قامته، وقال:

– لابد من الخروج اليوم لانى على مواعيد كثيرة، ولا مندوحة للانسان من أن يحافظ على مواعيده اذا أراد أن يثق الناس فيه. ومن طبيعتى أن أقوم بكل ما اتخذه من قرارات، لان هذه هى الطريقة الوحيدة التى تضمن النجاح فى ميدان العمل.

– ولكن اذا شعر الانسان بالمرض؟

– اننى لست مريضا.. مجرد صداع بسيط، وبعض الدوار لانى لم أنم جيدا.

ولم يسع المسز ماربرى الا أن تهز كتفيها، وتحمل صحفة الطعام وتغادر الغرفة، بينما كان المستر سوست يضع فى حقيبة سفر صغيرة (بيجامته) وأدوات حلاقة ذقنه، وعشر علب مسطحة من الكرتون.

وبعد أن ألقى نظرة على دليل السكك الحديدية الموضوع على المائدة، غادر الغرفة والحقيبة فى يده..

وفى الصالة وضع قبعته على رأسه، وارتدى معطفه وهو يتنهد بعمق لفت اليه انتباه فتاة كانت خارجة من غرفة فى الجانب الآخر، فنظرت اليه بقلق وقالت:

– هل تتألم من شئ يا مستر سوست؟

– لا شئ يا ليلى!

– لقد كنت تتنهد بشدة.

– لا داعى لأن تقلقى يا ليلى.. اننى بخير.. طاب يومك.

– طاب يومك يا مستر سوست، الى أين أنت ذاهب هذه المرة؟.. الى الشاطئ ثانية؟

– لا.. لا.. بل الى شلتام.

– أنه مصيف لطيف فعلا، ولكن ليس أجمل من تور كاى. لسوف أمضى الصيف القادم فيه. وبهذه المناسبة، لقد كنت فى تور كاى عندما وقع حادث قتل السير سيرميكال.. أى كنت جد قريب من مسرح الجريمة.

– لا.. لا.. ان تور كاى تبعد عن سيرستون نحو ستة أو سبعة أميال.

– أنها مسافة قصيرة جدا.. ومن يدرى، فلعلك رأيت القاتل دون أن تعرفه، آه، ماذا بك يا مستر سوست؟ هل أنت مريض؟

– لا.. لا.. اننى بخير، شكرا يا مسز ماربرى.. وطاب يومك.

وقالت ليلى ماربرى لنفسها، وهى تشيعه بنظراتها:

- أنه رجل مسكين.. يخيل لى أن عقله ليس فى حالة طبيعية.

وقال المفتش كروم لمساعده:

- أكتب لى قائمة بأسماء جميع منتجى الجوارب النسائية، ثم اتصل بمديريها وأعرف منهم أسماء جميع مندوبى البيع الذين يتعاملون معهم، وأعنى بهم أولئك المندبين المتجولين.

- أهذا كله يتعلق بجرائم أ. ب. س؟

فقال المفتش كروم على مضض:

- أجل.. أنها فكرة بوارو.. وربما لا تنتهى الى شئ، الا أنه علينا ألا نهمل أية فكرة معقولة.

وقال الشاب توم هارتيجان لخطيبته ليلى ماربرى:

- لقد رأيت فى هذا الصباح نزيلكم العجوز العجيب.

- من تعنى؟ المستر سوست؟

- رأيته فى بلدة أوستن يبدو كالدجاجة الضالة كالمعتاد. أعتقد أن هذا المسكين نصف مجنون، ولابد أن يكون معه أحد يرعاه فى الخارج. لقد سقطت من يده الصحيفة أولا، ثم سقطت منه تذكرة السفر دون أن يشعر اطلاقا، فلما أعدتهما اليه، شكرنى فى اضطراب ولكننى أعتقد أنه لم يتعرف على.

- أنه لم يرك الا نادرا يا توم.. ولكن ماذا كنت تفعل فى أوستن؟

- كنت فى طريقى منها الى شلتام.

- وهكذا كان أيضا المستر سوت..

- لا.. كانت تذكرة سفره تدل على أنه ذاهب الى دونكاستر.

- بل شلتام..

- دونكاستر.. لقد قرأت اسم هذه البلدة بوضوح على التذكرة.

- ولكنه قال لى ولأمى أنه ذاهب الى شلتام.

- ربما سمعتما الاسم خطأ. ولعله ذهب للفرجة على سباق الخيل.

- ولكن دونكاستر هى البلدة التى ستحدث فيها الجريمة الرابعة غدا!

- لا تجزعى عليه.. أن اسمه لا يبدأ بالحرف (د).

- والعجيب أنه كان فى توركاى بالقرب من سير ستون فى المرة السابقة.

- أنها مصادفة عجيبة.. أليس كذلك؟

وكان الاثنان يتمشيان على طريق نهر التايمس، عندما أردف توم هارتيجان قائلا وهو يضحك:

- ولعله كان أيضا فى بلدة بكسهيل وقت وقوع الجريمة الثانية.

فجمعت ليلى ما بين حاجبيها مفكرة، ثم قالت:

- كان غائبا عن غرفته فعلا، وأنا اذكر هذا لأنه كان قد نسى ثوب السباحة، وكانت أمى ترتقه له. وقد قالت لى فى اليوم التالى (لقد

نسى المستر سوست ثوب السباحة الذى كان ينوى أن يأخذه معه، هل سمعت بالفتاة التى وجدت مخنوقة على شاطئ البحر فى بكسهيل أمس؟

وهنا ابتسم توم هارتيجان، وقال:

– ما دام كان ينوى أن يأخذ معه ثوب السباحة، فلا شك أنه ذهب الى أحد المصايف يومذاك. ما رأيك فيما لو كان نزيلكم العجوز هذا هو القاتل أ. ب. س؟

فضحكت ليلى وقالت:

– المستر سوست المسكين؟ أنه لا يستطيع أن يؤذى ذبابه!



اليوم المشهود

دونكاستر؟! أعتقد أنى سوف أتذكر اليـوم الحـادى عـشـر من شـهـر سبتمبر مدى الحياة.

والواقع انى كلما سمعت عن عيد القديس ليجير، تذكرت فورا تلك الأحداث الرهيبة المتوالية التى وقعت فى ذلك اليوم.

لقد كنا هناك فى ذلك اليوم.. فى دونكاستر.. المفتش كروم وجميع معاونيه وآلاف من رجال المباحث، وبوارو وأنا ردونالد فريز وفرانكلين كلارك، وتورا جراى وميجان بارنارد ومارى دراور.

وقررنا أن نوسع نطاق البحث بأن نتفرق فى انحاء البلدة، وقد تم الاتفاق على أن يذهب كل من فرانكلين ودونالد فريرز بمفرده، وأن يصحب بوارو المس جراى الوحيدة بيننا التى سبق أن شاهدت القاتل، وأن أصحب أنا مارى دراور لأن اسمها الثانى -كما أشار بوارو -يبدأ بالحرف (د) اذ ليس من المستبعد أن يتعمد المجرم المجهول طعن بوارو فى الصميم بقتل واحدة من أعوانه!

وقال لى بوارو، ونحن نفترق:

- اطمئن يا هاستنج هذه المرة.. ان النجاح المتواصل سوف يدفع بالمجرم المجهول الى الايمان بحظه، ومن ثم لم يكون شديد الحرص هذه المرة.. وأكبر ظنى أنه سيرتكب بعض الأخطاء التى ستوقع به فى أيدينا.

فقلت فى شئ من الارتياب:

- اننى أعتقد أن هذا المجرم لن يفى بوعده ويرتكب جريمته الرابعة هذه المرة، وهو يدرك أحكام الحلقة حوله!

فابتسم بوارو وقال:

- أن ذلك المجرم يعانى هذا النوع من الجنون الذى يجعله يضر كل الاصرار على تنفيذ ما وعد به، مهما تكن الظروف والأحوال، لأنه سيدرك تماما أن تراجعه عن تنفيذ خطته سيعنى الفشل، وهذا ما لا يتفق مع الدوافع التى دفعت به الى ارتكاب هذه الجرائم.

- أكبر الظن أنه سيكون ماكرا جدا يا بوارو، اذا قرر ارتكاب هذه الجريمة الرابعة.

- تأكد يا هاستنج أن عجلة الحظ قد دارت.. وسوف يقع هذه المرة فى أيدينا.. الى اللقاء.



لا يرويه الكابتن هاستنج

غمغم المستر ليدبتر بخفوت وامتعاض عندما نهض الرجل الجالس بالقرب منه فى دار السينما، وسار فى طريق الخروج وهو يتخطاه متعثرا ثم يزداد تعثرا ويسقط قبعته على المقعد الأمامى، ثم ينحنى ويلتقطها، وينصرف.

كل هذا ضيع بعض لحظات ثمينة من مناظر فيلم (ليس عصفورا) الذى كان المستر ليدبتر ينتظر مشاهدته بفارغ الصبر.

وتململ المستر ليدبتر فى مقعده، وهو يتساءل فى نفسه (لماذا لا ينتظر هؤلاء الناس حتى نهاية الفيلم قبل أن ينصرفوا؟!).

حسنا.. لقد انصرف ذلك الجار المتعثر الثقيل الظل، وها هو ذا المستر ليدبتر يستمتع بمتابعة الفيلم حتى نهايته.

وتنهد فى ارتياح عندما اضيئت الأنوار فى الصالة..

ونهض واقفا ببطء وهو يطرف بعينه..

ولم يكن من عادته أن يسرع بمغادرة دار السينما عقب انتهاء الفيلم، وانما كان يحب أن يتمهل حتى يعود الى واقع الحياة تماما.

وتلفت حوله.. ان الصالة لم تكن مزدحمة.. كان المتفرجون فيها عددا قليلا جدا.. آه لا شك أن معظم الناس كانوا فى تلك الساعة يتفرجون على سباق الخيل احتفالا بعيد سانت ليجيل.

واستعد المستر ليدبتر للخروج وراء المتفرجين الذين كانوا يتسابقون الى أبواب السينما. ولاحظ أن الرجل الجالس على المقعد الأمامى بالنسبة له، ظل جالسا، مطرق الرأس، وكأنه مستغرق فى النوم.

وشعر المستر ليدبتر بالسخط على مثل هذا الرجل الذى ينام فى أثناء عرض فيلم رائع مثل (ليس عصفورا)!

وهز كتفيه، وسار فى طريق الباب..

ولما وصل اليه، راح ينتظر دوره للخروج..

ولم يدر لماذا التفت وراءه الى حيث كان جالسا. وعلى أية حال فقد رأى جمعا من الناس حول ذلك الرجل الذى ظنه نائما فى مقعده وتردد برهة، ثم خرج..

وهكذا فاتته فرصة الفرجة على الحادث الذى أقام الرأى العام واقعده فى جميع أنحاء البلاد.

لقد تبين لمدير الصالة حين هز الرجل الذى ظنه -هو أيضا- نائما، أنه مقتول بطعنة سكين فى القلب.

واجتمع حوله بعض النظارة الذين لم يكونوا قد انصرفوا بعد..

وساد الفزع الجميع حين هتف أحدهم مشيرا الى دليل أ. ب. س للسكك الحديدية الموضوع بجانب القتيل:

- لقد ارتكب المجرم المجنون جريمته الرابعة!

غادر المستر سوست سينما ريجال وتطلع الى السماء، كان الجو فى ذلك المساء صحوا.. جميلا.

وقال لنفسه: ما دام الله فى سمائه، فكل شئ على الأرض على ما يرام.

وسار فى طريقه مبتسما حتى وصل إلى فندق بلاك سوان الذى كان ينزل فيه.

وصعد السلم الى غرفته الصغيرة الخانقة المطلة على فناء داخلى ومرآب (جراج) للسيارات.

واختفت البسمة فجأة من وجهه حين لمح على كم معطفه -بعد دخوله الغرفة- آثار دماء..

ولما لمسها، وجدها لا تزال رطبة.. دماء رطبة!

ودس يده فى جيب المعطف، فإذا هى تخرج ممسكة بسكين حاد طويل النصل، ملوث بالدماء أيضا.

ودار بعينيه فى أنحاء الغرفة كحيوان واقع فى الفخ.

وتهالك جالسا على مقعد قريب، وهو يتمتم لنفسه:

- هذه غلطتى أنا..

وبدا كأنه يتحدث مع شخص مجهول بلهجة التلميذ الذى يلتمس الصفح من ناظر المدرسة.

ووقعت نظراته على حوض الاغتسال، فنهض اليه وخلع معطفه، وملأ الحوض بالماء، وراح يغسل المعطف مما فيه من دماء، لقد غدا الماء أحمر اللون!

وفى تلك اللحظة سمع نقرا على الباب..

وتسمر فى مكانه لا يريم، وقد راح يحملق فيما أمامه ببلاهة.

وفتحت الباب سيدة شابة ممتلئة الجسم.. ودخلت تحمل ابريقا وتقول:

- معذرة يا سيدى.. هذا هو ماؤك الساخن.

واستطاع أخيرا أن يقول لها:

- شكرا لقد اغتسلت بالماء البارد.

ولما رأى نظرتها تقع على الماء الأحمر فى الحوض، قال فى فزع:

- لقد جرحت يدى.

وبعد لحظة طويلة، طويلة جدا من السكون، قالت:

- حسنا يا سيدى..

ووقف المستر سوست فى مكانه كتمثال من الحجر!

لقد جاءت النهاية أخيرا..

وأرهف سمعه!..

هل هم قادمون اليه الآن؟..

ولكنه لم يسمع غير دقات قلبه المضطرب..

وتحول جموده فجأة الى حركة قلقة، فارتدى معطفه بسرعة، وسار على أطراف أصابعه الى الباب وفتحه.. ثم أرهف السمع مرة أخرى، ثم هبط متسللا الى السلم، وعند نهايته وقف حائرا. وفجأة لمح الباب الخلفى المؤدى الى الفناء، فانفلت منه، وسار متمهلا أمام اثنين من السائقين كانا يغسلان سيارتهما، ثم مضى الى شارع جانبى.

وظل ينتقل من شارع الى آخر فى اتجاه المحطة، وهو يتمتم:

- لو أن الحظ يساعدنى فاستقل القطار دون أن يتعرف على أحد!

كان المفتش كروم جالسا ينصت الى حديث المستر ليدبتر المضطرب:

- أؤكد لك يا سيدى المفتش أن قلبى يهوى بين ضلوعى كلما فكرت فى أن القاتل الرهيب كان جالسا بجوارى طيلة عرض الفيلم.

فتذرع المفتش كروم بالصبر وقال:

- دعنا من هذه التعليقات يا مستر ليدبتر، أرجو أن تحدثنى بوضوح. هل تقول أن ذلك الرجل انصرف قرب نهاية الفيلم؟

- أجل.. أجل..

– وهل مر بك وتعثر فى أثناء مروره؟

– أجل.. أننى أدرك الآن أنه تظاهر بالتعثر. ولا شك أنه طعن الرجل الذى كان جالسا أمامى وهو يتظاهر بأنه يسترد قبعته.

– ألم تسمع شيئا! لا صيحة، ولا آهة ولا شئ؟

– ربما سمعت شيئا، ولكننى حسبته من الفيلم.

– هل تستطيع أن تصف لنا هذا الرجل؟

– كان رجلا ضخما يزيد طوله على ستة أقدام.. كان ماردا.

– أشقر أم خمرى اللون؟!

– لست واثقا من هذا.. ولكنه كان أصلع.. رهيب المنظر.

– هل كان يعرج؟!

– آه ما دمت قد ذكرتنى يا سيدى المفتش، فيمكننى أن أقول أنه كان يعرج فعلا، وأذكر أيضا أنه كان ملوح الوجه كأنه نصف زنجى.

– هل كان موجودا فى مقعده قبل بدء عرض الفيلم؟

– لا.. لقد حضر بعد البدء بقليل، عندما أظلمت القاعة.

وأومأ المفتش كروم برأسه.. وبعد انصراف المستر ليدبيتر قال لمساعده:

– هذا اسوأ انواع الشهود.. أنه على استعداد لأن يقول أى شئ توحى به اليه.. وأكبر الظن أنه لا يعرف أى شئ عن شكل الرجل.. حسنا.. استدع مدير الصالة.

وأقبل مدير الصالة، الذى كان عسكريا سابقا. ورفع يده بالتحية. فقال له المفتش كروم:

- والآن، دعنا يا جيمسون نسمع شهادتك.

ورفع جيمسون يده بالتحية العسكرية مرة أخرى، وقال:

- تماما يا سيدى.. عند قرب انتهاء العرض يا سيدى. سمعت أن أحد المتفرجين لا يزال جالسا فى مقعده فى حالة تدل على أنه نائم أو مريض أو أى شئ من هذا القبيل، وكان ذلك السيد جالسا فى مقعد بالصالة. وكان منحنيا على نفسه بشكل يلفت الانظار. ورأيت سيدا آخر واقفا بالقرب منه، يقول أن جلسة ذلك السيد الآخر غير طبيعية. ولما وضع يده على كتف السيد المنحنى على نفسه. لاحظت فورا أنها تلوثت بالدماء، فأرسلت من فمى سيلا من اللعنات. واسوأ من هذا يا سيدى أننا وجدنا السيد المنحنى على نفسه مقتولا بطعنة فى صدره أمام القلب والدماء لا تزال تنساب منها، وعلى المقعد الذى بجواره دليل أ. ب. س للسكك الحديدية، فانتشر الفزع بيننا وبادرنا الى اخطار مركز الشرطة.

فقال المفتش كروم:

- حسنا يا جيمسون، لقد أحسنت التصرف..

- شكرا يا سيدى..

- ألم تلاحظ رجلا غادر الصالة قبل نهاية الفيلم بلحظات؟

- غادرها كثيرون قبل نهاية العرض يا سيدى.

- هل يمكن أن تصفهم؟

- لا أظن يا سيدى.. وانا أعرف منهم فقط المستر جيوفرى بان تل، والشاب سام بيكر وزوجته الحسناء، ولكننى لم ألاحظ شخصا بالذات يا سيدى.

- هذا أمر يؤسف له.. حسنا يا جيمسون.

- شكرا يا سيدى.

ورفع جيمسون يده بالتحية العسكرية وانصرف.

وما كاد ينصرف، حتى أقبل أحد رجال الشرطة، وقال للمفتش كروم:

- أن المسيو بوارو ومعه سيد آخر يريدان مقابلتك يا سيدى.

وقطب كروم جبينه، وقال:

- دعهما يدخلان.



جريمة دونكاستر

ودخلت وراء بوارو الى مكتب المفتش كروم. وبعد أن تبادلنا التحية قال المفتش كروم لبوارو:

– لقد ارتكب المجرم المجهول جريمته الرابعة يا مسيو بوارو.

وتسمرنا فى أماكننا من فرط الجزع والدهشة، بينما قال المفتش مستطردا:

– وفى هذه المرة استخدم السكين اداة للقتل.

– وهل وجدتم بجوار القتيل دليل أ. ب. س. للسكك الحديد؟

– أجل..

– وهل عرفتم شخصية القتيل؟

– أجل.. لقد اخطأ القاتل المجهول هذه المرة، لأن القتيل رجل يدعى جورج ايرسفيلد.

– عجبا!

– لعله تجاوز حرفا هذه المرة.. لنسمع الشاهد التالى، فقد عرفت

أنه يريد الانصراف بسرعة.

ودخل رجل فى منتصف العمر دميم الشكل، مضطرب الاعصاب، حاول أن يعبر عن اضطرابه بالثرثرة، ولكن المفتش كروم سأله قائلا:

– اسمك أيها السيد..؟

– دونز.. روجر دونز.

– مهنتك؟

– مدرس بمدرسة هايفيلد الثانوية.

– أخبرنا الآن بما تعرفه عن الحادث يا مستر دونز.

– أستطيع أن أقول لكم ما أعرفه بكل ايجاز.. عندما انتهى عرض الفيلم، نهضت لانصرف، وكان بالقرب منى رجل حسبته نائما، لأنه كان منحنيا على نفسه، وكدت أتعثر فى قدميه وأنا أحاول المرور أمامه.. وفجأة ناديت على مدير الصالة حين خطر لى أن الرجل مريض، ولما رفعت يدى عن كتفه رأيتها ملوثة بالدماء. وأدركت فورا أنه طعن بسكين نافذة الى القلب، وقد لاحظنا –مدير الصالة وأنا– وجود دليل أ. ب. س للسكك الحديدية على المقعد المجاور. وأؤكد لكم أيها السادة أن قلبى كاد يقف من فرط الفزع، وقلبى بطبيعته ضعيف.

ونظر المفتش كروم الى المستر دونز، ثم قال له:

– يمكنك أن تعتبر نفسك سعيد الحظ يا مستر دونز.

– لماذا يا سيدى؟

– قبل أن أخبرك أريد أن أسألك: هل كنت جالسا على مقربة من الرجل الذى قتل؟

– نعم.. على مسافة مقعدين منه. وكنت فى أول الأمر جالسا بجواره مباشرة، ثم انتقلت الي مقعد ليس أمامه أحد حتى أرى الفيلم بوضوح.

– أنك فى نفس طول الرجل القتيل، وتلف حول عنقك مطرفا صوفيا كما كان الامر معه.

– ولكن، ما علاقة هذا كله يا سيدى؟

فقال المفتش كروم:

– أراهن أن القاتل كان يتبعك أنت الى دار السينما، وكان ينوى أن يقتلك لان اسمك الاخير يبدأ بالحرف (د). ولكنك حين انتقلت الى مقعد آخر اخطأك وقتل المستر جورج، وهو يحسبه أنت.

ولم يحتمل قلب المستر دونز الضعيف أكثر من هذا، فتهالك الرجل على أقرب مقعد اليه، وهو يلهث قائلا:

– ماء.. أريد ماء!

ولما أسرع أحد السعاة اليه بالماء، أفاق الرجل.. فغمغم وهو ينهض مضطربا:

– لا. لا. لا أصدق هذا! لماذا يريد أن يقتلنى أى انسان.. هو أو غيره؟ اننى رجل مسالم.. لم أسئ الى أحد أبدا.. هل تريدون منى شيئا آخر؟ لا! حسنا. طاب يومكم أيها السادة طاب يومكم..

واستدعى المفتش كروم أحد مساعديه، وقال له:

- رايس.. ارسل اثنين من رجالنا لحراسة المستر دونز دون أن يشعر، فاننى أعتقد أن المجرم المجنون قد يعمد الى تصحيح غلطته، ويحاول القضاء على هذا الرجل!

وأومأ بوارو برأسه موافقا، وقال:

- ما دام ذلك المجرم قد بدأ يخطئ، فلا شك أن اخطاءه سوف تتوالى!

وأقبل أحد رجال الشرطة، وقال:

- فى الخارج رجل وسيدة من فندق بلاك سوان لديهما أقوال يريدان الادلاء بها فى موضوع جرائم (أ. ب. س).

- ادخلهما.. أدخلهما بسرعة.

ودخل صاحب فندق بلاك سوان، وكان رجلا كبير الجسم يدعى المستر بول، ومعه سيدة شابة ممتلئة الجسم، ينم وجهها عن الانفعال الشديد.

قال الرجل بصوت خفيض غليظ:

- أرجو ألا أضيع وقتكم الثمين أيها السادة، ولكن هذه الفتاة مارى تؤكد أن لديها أقوالا هامة بخصوص المجرم (أ. ب. س).

فقال المفتش كروم:

- حسنا يا فتاتى.. ما اسمك؟

- ماری.. ماری ستراود.

- ماذا تريدين أن تقولى يا ماری؟

فنظرت ماری إلى صاحب الفندق متسائلة، فقال هذا:

- ان عملها فى الفندق هو حمل الماء الساخن الى النزلاء. وكان لدينا نحو سبعة أو ثمانية نزلاء، بعضهم جاء للفرجة على السباق، وبعضهم يقيم لاغراض تجارية. والآن.. تكلمى يا فتاة.

فقالت ماری وهى تدير عينيها فى وجوه الجميع:

- طرقت على الباب، ولكن لم يرد على أحد.. وأنا عادة لا أدخل الا اذا قال لى النزيل (ادخلى) ولما لم يقل أحد شيئا، دخلت!

ووقفت برهة أنظر الى النزيل وهو يغسل يديه فى الحوض.

وتوقفت عن الحديث فجأة، فقال كروم:

- استمرى.. وبعد؟!

- قلت له اننى جئت بالماء الساخن، فقال أنه اغتسل بالماء البارد، ونظرت الى الماء فى الحوض فوجدته.. يا للهول.. أحمر.

فهتف كروم فى اهتمام:

- أحمر؟!

وهنا تدخل المستر بول فى الحديث، فقال:

- وأخبرتنى الفتاة أنها رأته أيضا ممسكا بكم معطفه، كأنما كان يغسله فى الحوض، لان الكم كان غارقا بالماء!

– تماما يا سيدى.. وكان وجهه يدل على أنه فى حالة غير طبيعية.

– متى كان ذلك؟

– فى نحو الخامسة والربع مساء أو أكثر قليلا.

– أى منذ ثلاث ساعات، فلماذا لم تأت يا مستر بول مع الفتاة فورا؟

فقال المستر بول:

– لم نسمع بنبأ الجريمة الا أخيرا.. ولما سمعت الفتاة النبأ، تذكرت الماء الأحمر فى الحوض، فصرخت وأخبرتنى بما رأت، فأسرعت الى غرفة ذلك النزيل فلم أجده فيها.. ولهذا بادرت بالحضور مع مارى.

فتناول كروم ورقة وقلما وقال:

– صفى ذلك النزيل بسرعة يا مارى..

– رجل متوسط الحجم، منحنى القامة قليلا، يضع على عينيه نظارة طبية.

– وملابسه؟..

– بذلة قاتمة اللون وقبعة من نوع هامبرج.. وتدل ملابسه بوجه عام على رقة الحال.

ولم تستطع مارى أن تضيف الى هذا الوصف أكثر من ذلك..

وأرسل كروم اثنين من رجاله فورا الى فندق بلاك سوان، وما هى

غيـر لحظات حتى عاد ومعهما سـجل أسماء النزلاء فيه. وأشار المستر بول صاحب الفندق الى اسم بين الاسماء وقال:

- هذا هو توقيعه يا سيدى.

وتجمعنا حول السجل، حيث قرأ المفتش كروم الاسم قائلا:

- أ. ب. سوس.. أو سوش!

وغمغم بوارو بصوت له دلالته:

- أى أ. ب. س!

وسأل كروم صاحب الفندق قائلا:

- ألم يترك هذا النزيل شيئا وراءه!

- ترك حقيبة سفر متوسطة الحجم فيها ملابس داخلية قليلة، ومجموعة من علب الكرتون المسطحة.

- علب كرتون مسطحة؟ ماذا بداخلها؟

- جوارب.. جوارب نسائية.

وهنا التفت كروم الى بوارو وقال:

- أهنئك يا مسيو بوارو!



لا يرويه الكابتن هاستنج

عاد المفتش كروم الى مكتبه فى اسكتلانديارد وصلصل جرس التليفون على مكتبه، فرفع المسماع حيث سمع صوت عامل التليفون يقول:

– هنا شاب يريد أن يدلى بأقوال فى قضية أ. ب. س يا سيدى.

وتنهد كروم وقال لنفسه (كل واحد يريد أن يدلى بشئ فى هذه القضية، وليتهم يدلون بما يفيد).

ثم قال فى التليفون:

– دعه يصعد..

ودخل أحد رجال المباحث يصحب شابا مترددا، يقول عنه:

– هذا هو المستر توم هارنيجان يا سيدى المفتش.. ان لديه أقوالا عن قضية أ. ب. س.

فنهض المفتش وصافح الشاب، ثم قال له:

– طاب صباحك يا مستر هارنيجان.. تفضل بالجلوس.. هل تدخن؟ حسنا.. ماذا لديك من أقوال؟

وجلس توم هارنيجان، وهو كما تذكر خطيب ليلى ماربرى ابنة المسز ماربرى صاحبة البنسيون الذى يقيم فيه المستر الكسندر بونابرت سوس..

جلس توم هذا فى شئ من الروع، اذ كانت تلك أول مرة يدخل فيها ادارة اسكتلانديارد، وأخيرا قال:

– ربما لا يكون فى أقوالى شئ، ولعلى بذلك أضيع وقتكم الثمين..

– هذا ما سوف نعرفه بعد أن نسمع حديثك يا مستر هارنيجان.

– اننى يا سيدى خاطب لفتاة شابة تدير أمها شقة مفروشة حيث تؤجر غرفاتها لبعض النزلاء. وتقع فى طريق كامدن تاون بلندن كما تعلم يا سيدى..

– حسنا.. وبعد!

– وهى فى الطابق الثانى.. وينزل فى احدى الغرف المفروشة منذ عام رجل يدعى سوست.

– سوست؟ آه!!

– أجل يا سيدى.. رجل فى منتصف العمر، غريب الاطوار، هادئ الطباع، يبدو أن الحياة قست عليه بعض الشئ. ويمكننى القول أنه من النوع الذى لا يؤذى ذبابة، ولهذا ما كان يخطر ببالى أبدا أن أتهمه بشئ لولا بعض الدلالات الغريبة التى لاحظتها عنه..

وراح توم فى شئ من الاضطراب والارتباك يحدث المفتش كروم بقصة مقابلته للمستر سوست فى أوستن، وكيف أعاد اليه صحيفته وتذكرة سفره.. ثم استطرد يقول:

- أترى يا سيدى.. لقد كانت ليلى، أعنى خطيبتى، واثقة بأنه سيسافر الى شلتام، بينما كان مسافرا، كما ظهر من تذكرته، الى دونكاستر. ولم أهتم بهذا كثيرا فى أول الامر، ولكن عندما استطردت فى الحديث معها وعلمت منها أنه كان فى توركاى القريبة من سيرستون عند وقوع الجريمة الثالثة، وأنه كان غائبا فى مكان ما على شاطئ البحر عند وقوع الجريمة الثانية فى بكسهيل.. عندما سمعت هذا، بدا الشك يخامرنى فى أمره، رغم أنه -فى رأيى- لا يستطيع أن يؤذى ذبابة!

وبعد برهة صمت وجيزة، استطرد الشاب يقول:

- ولما قرأنا نشرة ادارة اسكتلانديارد عن رغبتها فى الاستدلال على كل من يبدأ اسمه بالحرفين (أ. ب.) ثم الاسم سوس أو سوش، أسرعت بالاتصال بالمسز ماربرى حيث علمت منها أن نزيلها الغريب الأطوار المستر سوست يحمل اسما كاملا يبدأ بالحرفين أ. ب. وقد دهشنا كثيرا وأبينا أن نصدق أنفسنا.. ولكن المسز ماربرى كانت واثقة تماما أن نزيلها هذا كان غائبا عن غرفته فى الليالى التى وقعت فيها الجرائم الثلاث الاخيرة، وراحت هى وابنتها تعتصران ذاكرتيهما لتتذكرا أين كان فى أثناء وقوع الجريمة الأولى، جريمة أندوفر التى حدثت منذ ثلاثة أشهر، وقد تذكرت المسز ماربرى أن أخا لها كان قد وصل من كندا فى ذلك الحين ولما لم تجد له غرفة يبيت فيها، اقترحت

ليلى عليها أن يبيت فى غرفة المستر سوست لأنه قال يومذاك أنه سيغيب ليلته فى الخارج. وقد تحرينا تاريخ وصول الباخرة التى أقلت شقيق المسز ماربرى الى لندن، وعلمنا أنها وصلت ميناء ساوثمبتون فى صباح اليوم الحادى والعشرين من شهر يونيه الماضى.

وكان المفتش كروم ينصت باهتمام الى حديث الشاب.. فلما فرغ من حديثه قال له:

- أهذا كل شئ؟

- أجل يا سيدى..

- لقد أحسنت بمجيئك الينا.. أين المستر سوست هذا الآن؟.. أنى أحب أن التقى به لألقى عليه بعض الأسئلة. هل هو فى غرفته الآن؟

- أجل يا سيدى..

- متى عاد؟..

- من دونكاستر؟ فى ليلة وقوع الجريمة.. وتقول المسز ماربرى أنه لا يكف عن شراء الصحف ولا عن الحديث الى نفسه!

وبعد أن دون المفتش كروم العنوان، شكر توم هارنيجان بحرارة، ثم استدعى أحد مرءوسيه -بعد انصراف توم- وطلب منه أن يرسل ببعض رجال المباحث لمراقبة عنوان المستر سوست.

مرة أخرى تلفت المستر سوست حوله فى جوانب غرفته المفروشة بمسكن المسز ماربرى، وبدت فى عينيه نظرة الحيوان الواقع فى الشرك. وفجأة نهض، وقد قرر أن يخرج.. الى أين؟ أنه لا يدرى..

وتسلل الى الباب، وفتحه.. وأطل منه برأسه. وشعر بالمسز ماربرى وهى تتحرك فى المطبخ. وأرهف السمع قليلا، ثم سار على أطراف أصابعه، وهبط من المسكن الى الباب الخارجى وفتحه ووقف برهة يتلفت حوله..

إلى أين يذهب..؟

ومرة أخرى شعر أنه لا يدرى..



فى اسكتلانديارد

ومرة أخرى انعقد مؤتمر فى اسكتلانديارد.

وضم هذا المؤتمر نائب الحكمدار والمفتش كروم، والمسيو بوارو، وأنا..

وقال نائب الحكمدار لبوارو:

– كانت ضربة معلم تلك التى ذكرت فيها موضوع الجوارب النسائية يا مسيو بوارو.. فقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن القاتل كان يتظاهر ببيع الجوارب النسائية..

فبسط بوارو يديه، وقال:

– كان الأمر واضحا بعد أن سمعت كلمة (الجوارب) تتردد كثيرا على ألسنة المقربين الى الضحايا.

والتفت نائب الحكمدار الى المفتش كروم، وقال:

– هل وضحت لك كل غوامض هذه الحالة يا كروم؟

– كلها تقريبا يا سيدى.. هل أسرد كل ما لدينا من معلومات حتى

الآن؟

- أرجو أن تفعل..

- لقد ثبت لنا أنه كان فى فندق بيت بمصيف توركاى قبل وقوع جريمة سيرستون بيوم واحد، وقد سجل اسمه فى الفندق (أ. ب. سوست) وثبت أنه عاد الى الفندق فى ليلة وقوع الجريمة فى الساعة العاشرة والنصف مساء.. أى كان فى امكانه أن يستقل قطار الساعة التاسعة والسابعة والخمسين دقيقة من محطة سيرستون فيصل الى محطة توركاى فى العاشرة وعشر دقائق.

وصمت المفتش كروم برهة، قبل أن يستطرد قائلا:

- وكذلك الحال بشأن بكسهيل.. لقد نزل فى فندق جلوب وسجل اسمه أ. ب. سوست. وعرض جواربه للبيع على أكثر من اثنتى عشرة سيدة منهن المسز بارنارد، وغادر الفندق فى ساعة مبكرة من مساء وقوع الجريمة، ثم عاد الى لندن فى الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح اليوم التالى.. أما بشأن أندوفر، فقد نزل فى فندق ثيثرز، وعرض جواربه على المسز فاولر جارة المسز آسكر -المجنى عليها- كما عرضها على أكثر من خمس سيدات أخريات. وقد حصلت على الجوارب الذى اشترته المسز آسكر منه لاهدائه لابنة أخيها مارى دراور كما يبدو.. حصلت عليه من مارى، وثبت أنه من نفس الصنف الذى يبيعه المستر سوست.

فقال نائب الحكمدار:

- هذا عظيم جدا حتى الآن.

– وبعد المعلومات التى أدلى بها المدعو توم هارنيجان، ذهبت بنفسى الى مسكن المسز ماربرى حيث علمت أن المدعو المستر سوست خرج من غرفته دون أن يشعر به أحد. وقمت بتفتيش هذه الغرفة، وثبت بما لا يدع مجالا لأى شك أنه المجرم المجهول. لقد عثرت على (رزمة) من أوراق الرسائل من نفس النوع الذى كتبت عليه رسائله الى بوارو، وكذلك وجدت فى داخل خزانة الملابس كمية كبيرة من الجوارب النسائية فى علب مسطحة، ولفافة بها مجموعة من دليل (أ. ب. س) للسكك الحديدية، كلها جديدة.. وكانت اللفافة تشبه لفافات علب الجوارب تماما، بحيث يظن الذى يراها لأول وهلة أنها تضم علب جوارب لا مجموعة من دليل (أ. ب. س) للسكك الحديدية.

وقال نائب الحكمدار:

– هذه كلها أدلة مادية حاسمة.

وقال المفتش كروم بلهجة الانتصار:

– وقد عثرت على شئ آخر.. عثرت فى هذا الصباح فقط، ولم تتح لى الفرصة بعد لابلاغ النبأ رسميا. والواقع أننى لم أكن أنتظر أن أجد السكين المستعملة فى الجريمة الأخيرة فى غرفته.

فقال بوارو:

– مهما بلغت درجة جنونه، فلا يعقل أن يخفى السكين فى غرفته!

– أيا كان الامر، فالمجنون ليس شخصا متزن التفكير.. ومن ثم فلا يستطيع الانسان أن يحكم على نتائج تصرفاته بالمقدمات المنطقية.

ولهذا خطر لى أنه ربما عاد بالسكين الى مسكنه، ولكنه أخفاها فى مكان آخر. فماذا يمكن أن يكون ذلك المكان الآخر؟ أنه قائمة الصالة.. والمفروض أن أحدا لا يحرك قائمة الصالة عن موضعها، وبعد الكثير من الجهد استطعت مع رجالى أن نحرك قائمة الصالة قليلا عن الجدار، فوجدنا السكين وراءها.

- نفس السكين؟

- أجل.. وكانت لم تزل ملوثة بالدماء.

فقال نائب الحكمدار:

- أحسنت يا كروم.. لم يبق أمامنا غير شئ واحد.

- ما هو يا سيدى؟

- القبض على الرجل نفسه!

فقال كروم بلهجة تنم عن الثقة الكاملة:

- لسوف يتم هذا فى أقرب فرصة..

والتفت الى بوارو، وقال:

- ما رأيك يا مسيو بوارو؟

وبدا كأن بوارو قد تنبه من ذهوله، وقال:

- معذرة، ماذا تقول؟

- كنا نقول أن القبض على ذلك المجرم المجنون مسألة وقت.. فما رأيك؟

- أوه، نعم، نعم. بلا شك.

وكان صوته ينم عن شرود الفكر، فقال له نائب الحكمدار:

- هل هناك ما يثير قلقك يا مسيو بوارو؟

- أن هناك ما يهمنى جدا أن أعرف الاجابة عليه، وهو السبب.. المبرر الدافع على هذه الجرائم.

فقال نائب الحكمدار فى ضجر:

- ولكن الرجل مجنون.. ألا يعتبر هذا سببا كافيا؟

- لا يا سيدى.. ان هذا لا يعتبر سببا كافيا فى رأيى.

فقال كروم:

- ربما يتضح لنا السبب عندما نقبض عليه.

وقال نائب الحكمدار:

- ترى أين هو الآن؟



لا يرويه الكابتن هاستنج

توقف المستر سوست بجوار دكان الفاكهة الواقع أمام دكان المسز آسكر، عبر الشارع.. وراح ينظر الى دكان المسز آسكر..

نعم.. أن اللافتة تحمل اسمها بوضوح (أ. آسكر) حلوى وسجائر وصحف! وبجانب اللافتة، ورقة مكتوبا عليها (للايجار).

لقد أصبح الدكان خاليا بلا حياة.

(معذرة يا سيدى..)

قالتها زوجة الفاكهى للمستر سوست لكى تتناول بعض ثمار الليمون.

واعتذر لها وتحرك جانبا..

وفى بطء وتمهل، راح يسير متثاقلا فى اتجاه الطريق العام المؤدى الى خارج البلدة.

ان الأمر شاق.. شاق تماما لانه لم يعد يمتلك قرشا واحدا.

وأشق من هذا أنه لم يتناول طعاما طوال يومه، ويبدو أن الجوع يملأ النفس بمشاعر غريبة، ويجعل الرأس خفيفا مضطربا.

ولاحت منه نظرة الى واجهة (كشك) لبيع الصحف، فطالعته العناوين الضخمة عن جرائم (أ. ب. س) الرهيبة، وعن المجرم الذى اختفى، وعن المؤتمر الذى اشترك فيه هركيول بوارو مع رجال المباحث.

وتمتم المستر سوست لنفسه قائلا (لو أن المسيو بوارو يعرف..!).

وعاد يستأنف السير..

ولكنه قال لنفسه:

- لن أستطيع أن أمضى هكذا طويلا.

أنه يحرك قدما امام قدم.. يا لها من حركة عجيبة!

حقا أن عملية المشى عجيبة غريبة لمن يلاحظها.

ولكن أليس الانسان حيوانا عجيبا غريبا؟

وأليس هو، ألكسندر بونابرت سوست، حيوانا عجيبا غريبا بوجه خاص؟!

لقد كان هكذا دائما..

كان الناس دائما يضحكون منه، وعليه..

وهو لا يستطيع أن ينح عليهم باللوم..

الى أين هو ذاهب؟..

أنه لا يعرف..

لقد وصل الى النهاية، ولم يعد فى مقدوره أن يرى شيئا غير تحركات قدميه..

قدم تمضى أمام قدم..

ورفع رأسه، ورأى الأضواء أمامه، ولافتة كبيرة مكتوبا عليها: (مركز الشرطة).

وضحك المستر سوست، وقال:

- ما أعجب هذا؟

ثم تقدم نحو المدخل، وقبل أن يصل الى أولى درجات السلم، تمايل واهتز.. ثم سقط على الأرض مغشيا عليه!



بوارو يسأل

كان يوما من أيام نوفمبر الصافية الاديم، وكان الدكتور ثومبسون وكروم والمفتش جاب قد جاءوا الى مسكن بوارو ليخبروه بآخر تفاصيل قضية (أ. ب. سوست) وكان بوارو ملازما الفراش بسبب نوبة برد.

وقال المفتش جاب:

– لقد حول قاضى التحقيق قضية أ. ب. سوست الى محكمة الجنايات.

وقلت أنا:

– هل سيصر الدفاع على أنه مجنون غير مسئول عن جرائمه؟

فقال جاب:

– ان الدفع بالجنون لن يؤدى الى اطلاق سراح المتهم، بل سيدفع به الى مصحة الامراض العقلية حيث لا يخرج منها الا بمرسوم.

ثم أردف قائلا:

- ولكننى أعتقد أن المحامى المستر لوكاس يرى أن أمام المتهم ثغرة يمكنه النجاة منها، وهى اقامة الدليل الحاسم على أن سوست لم يكن فى بكسهيل ليلة وقوع الجريمة. ولكنه لن يستطيع فى رأيى أن ينقذ المتهم من حبل المشنقة فى نهاية الأمر.

وقال بوارو للدكتور ثومبسون:

- ما رأيك يا دكتور؟

- تسألنى عن رأيى عن سوست؟.. أننى لا أدرى ماذا أقول.. أنه يتظاهر بتمام العقل والحكمة. ولم أجد حتى الآن أى عرض من أعراض الجنون فى حديثه أو تصرفاته.. ولكنه مصاب بداء الصرع.

- عجبا!!

- لقد فاجأته نوبة الصرع وهو يدخل مركز الشرطة فى اندوفر.

فسألت الطبيب قائلا:

- هل يمكن أن يرتكب المريض بالصرع بعض الاعمال، كالجرائم مثلا، دون أن يشعر بما يفعل؟ اننى أحس أنه صادق فى انكاره أمام المحققين.

- لا تنخدع بحركاته وأقواله المسرحية عندما كان يقسم أمام المحققين (بالله العظيم ثلاثا) أنه لم يرتكب أية جريمة من هذه الجرائم.. رأيى أنه كان على ادراك كامل بما ارتكب!

وقال كروم:

- ان تحمس المجرم فى الانكار يكون فى كثير من الاحيان دليلا على ادانته.

وقال الدكتور ثومبسون:

- والدليل الحاسم على ادراكه التام لارتكابه هذه الجرائم، تلك الرسائل التى أرسلها اليك يا مسيو بوارو.. انها تدل على عقلية تعرف كيف تحكم التدبير.

وقال بوارو:

- ألم يقل سوست شيئا بخصوص هذه الرسائل بعد؟

- لا.. انه لا يزال مصرا على أنه لا يعرف من أمرها شيئا.

- أننى شخصيا لن اعتبر القضية منتهية حتى أعرف لماذا اختارنى بالذات لكى يرسل هذه الرسائل الى.

- طبعا.. طبعا.. ان هذا من حقك.

وقال بوارو:

- وذلك الشاهد العجيب المدعو سترانج، ألا يزال مصرا على قوله بأن المتهم كان يلعب الدومينو معه الى ساعة متأخرة من مساء اليوم الرابع والعشرين من يوليه، وفى فندق ببلدة ايستبورن؟

وأجاب المفتش جاب الذى كان قد بقى بعد انصراف الدكتور ثومبسون:

– نعم.. أنه مصر عليها كل الاصرار. هل يهمك أمر هذه الشهادة يا بوارو؟

– كل الاهمية..

– ولكنها لا تهمنى كثيرا لأنى لا أصدقها.. ألا أن المحامى لوكاس سوف يعرف كيف يستفيد منها فى دفاعه.

– صف لى ذلك الشاهد العنيد يا جاب.

– أنه رجل فى نحو الاربعين، قوى البنية، متين الجسم، شديد الثقة بنفسه وبآرائه، يعمل مهندسا فى المناجم.. وهو الذى تقدم من تلقاء نفسه للشهادة، وأصر عليها وأجل بسببها سفره الى شيلى.

فقال بوارو مفكرا:

– أى أنه من طراز الرجال الذين يرفضون الاعتراف بالخطأ مهما يكن الحال.

فقلت أنا، وكنت قد سمعت شهادته أثناء التحقيق:

– أنه من أشد الناس عنادا واصرارا على أقواله.. لقد أقسم بكل شئ مقدس أنه التقى مصادفة بسوست فى فندق هوايت كروس ببلدة ايستبورن فى مساء اليوم الرابع والعشرين من يوليه الماضى، أى فى ليلة وقوع جريمة بكسهيل. ولما رآه وحيدا بائسا أشفق عليه، وراح يتحدث معه. وبعد طعام العشاء، لعبا معا الدومينو. ويبدو أن ذلك المدعو سترانج من هواة هذه اللعبة، وقد أدهشه وسره أن يجد فى سوست غريما بارعا. وقد أقسم مرات عديدة أنهما ظلا يلعبان

ساعات طوال متوالية، وانهما لم يفرغا من اللعب الا فى منتصف الليل. ولهذا فهو قد اقسم مرات ومرات بكل مقدس أن سوست لا يمكن أن يكون مرتكب جريمة بكسهيل. لانه كان موجودا معه فى ايستبورن حتى آخر لحظة من الساعة الثانية عشرة مساء اليوم الرابع والعشرين. وقد ثبت طبيا ان الجريمة ارتكبت فى هذه الساعة. فكيف استطاع سوست أن يكون موجودا فى مكانين مختلفين وفى وقت واحد، لا سيما أن المسافة بين البلدتين اربعة عشر ميلا؟!

فقال بوارو:

– هذه مسألة تستحق التفكير والتأمل.

فهز كروم كتفيه، وقال:

– حتى لو ظل ذلك المدعو سترانج على شهادته، فلا تزال لدينا جريمة دونكاستر بما فيها من السكين الملوثة بالدماء. وكم المعطف الذى كان يغسله فى الحوض.. انه لن يستطيع أن يجد فى هذه الجريمة ثغرة واحدة، ثم هناك جريمة سيرستون، ثم آندوفر.. ان هذه الجرائم الثلاث الثابتة عليه تدل على أنه مرتكب الجريمة فى بكسهيل مهما أقسم وأصر سترانج على شهادته.

وقال جاب:

– ان مهمتك يا مسيو بوارو أن تبين لنا كيف يمكن التوفيق بين اصرار سترانج على شهادته، وبين ارتكاب سوست لجريمة بكسهيل.

وبعد انصراف المفنش، قلت لبوارو:

– ما رأيك فى هذا كله؟

– وما رأيك أنت يا هاستنج؟.. أتعتبر الموضوع منتهيا؟

– أعتقد هذا.. لان الرجل قد وقع أخيرا، والادلة متوافرة الى حد مذهل.

– أننى شخصيا لا أعتبر الموضوع منتهيا حتى أعرف كل شئ عن ذلك الرجل.

– لقد عرف عنه الشئ الكثير.

– لا، لا.. لم يعرف عنه فى الواقع شئ، عرفنا أين ولد، حقا، وانه اشترك فى الحرب العالمية الأخيرة، وأنه جرح فى رأسه وأعفى من الخدمة بسبب داء الصرع. ونعرف أنه أقام سنتين فى غرفة مفروشة بمسكن المسز ماربرى، وأنه كان دائما هادئا، منعزلا، من النوع الذى لا يشعر به أحد، ونعرف أنه وضع خطة هذه السلسلة من الجرائم وأحكم تنفيذها، وأنه فى النهاية ارتكب عدة أخطاء عجيبة لا يرتكبها أى مبتدئ فى عالم الجريمة، ونعرف أيضا أنه لم يحاول أن يتهم أحدا بارتكاب هذه الجريمة.. كما نعرف فى الوقت نفسه أنه كان يقتل ضحاياه بلا رحمة أو شفقة. أترى باهاستنج مبلغ المتناقضات فى شخصيته؟! داهية وأبله، عطوف وقاس لا يرحم، هادئ منعزل وجبار سفاك.. هذه المتناقضات كلها لابد أن يكون لها عامل اساسى يربط بينها!

– اذا كنت تريد أن تحلل نفسيته على هذا النحو، فلا شك..

فقاطعنى بوارو وقال:

- لا، لا .. اننى فى الواقع لا أكاد أعرف عن حقيقته شيئا.

- لعل شهوة القتل..

- أجل.. ان هذا الحافز يفسر الشئ الكثير، ولكنه لا يقنعنى. فهناك أشياء كثيرة أريد أن أعرفها عن يقين، مثلا: لماذا ارتكب هذه الجرائم؟

- ولماذا اختار هؤلاء الناس بالذات؟..

- لأن اسماءهم مرتبة بالحروف الهجائية..

- هل كانت بيتى بارنارد مثلا الفتاة الوحيدة فى بكسهيل التى يبدأ اسمها بالحرف (ب) -آه.. لقد خطرت لى فكرة.. لابد أنها فكرة صائبة، بل يجب أن تكون فكرة صائبة..!

ثم استغرق فى تفكير عميق حتى ظننته نائما.. ويبدو اننى الذى نمت، لأنى لم ألبث أن تنبهت على يده وهى تربت كتفى، وعلى صوته وهو يهتف بى قائلا:

- يا عزيزى هاستنج، يا ملهمى العبقرى.

ونظرت اليه فى ارتباك لهذا التقدير المفاجئ والاعجاب غير المنتظر أما هو فقد استمر يقول:

- أنك تميمة الحظ لى يا هاستنج.. أنك دائما الذى تلهمنى بأول ضوء ينير لى السبيل.

فسألته قائلا:

- وكيف الهمتك هذه المرة؟

- بينما كنت ألقى على نفسى بعض الأسئلة، تذكرت ملاحظة سمعتها منك.. ملاحظة وضيئة ملهمة، ألم أقل لك ذات مرة أنك عبقرى فى ملاحظة الاشياء الواضحة، وهى نفس الأشياء التى كثيرا ما تفوتنى ملاحظتها.

- وما هى ملاحظتى الملهمة الوضيئة هذه؟

- نعم.. ملهمة، ووضيئة، لأنها أوضحت لى كل شئ. اننى الآن أعرف الاجابة على جميع اسئلتى، أعرف السبب الذى من أجله قتلت المسز آسكر -وان كنت أعرف هذا السبب منذ مدة- والسبب الذى من أجله قتل السير سيرميكال كلارك، والسبب الذى من أجله وقعت جريمة دونكاستر، وأخيرا وهذا هو المهم، لماذا وقع الاختيار على هيركيول بوارو بالذات لارسال تلك الرسائل اليه.

- هل تسمح وتشرح لى الامر؟

- لا، ليس الان.. أريد أولا أن أجمع بعض المعلومات. وربما استطعت جمعها من فرقتنا الخاصة، ثم، بعد أن أعرف الاجابة على سؤال معين، سوف أذهب لزيارة صاحبنا أ. ب. س.. لسوف أقف معه وجها لوجه، أ. ب. س أمام هركيول بوارو.

- وبعد ذلك؟

- وبعد ذلك سنتحدث.. وتأكد يا هاستنج أن الحديث من أخطر

الأسلحة التى تكشف عن مكنونات الصدور. ان الحديث -كما قال لى فرنسى عجوز ذات مرة- من الضروريات التى اخترعها الانسان لتخفف عنه كثرة التفكير، والانسان يا هاستنج لا يستطيع أن يقاوم عملية كشف نفسه والافصاح عن حقيقة شخصيته عن طريق الحديث. وكلما زاد من الحديث. ازدادت شخصيته وضوحا.

وهنا قلت له:

- ماذا تنتظر أن يقول لك سوست؟

فابتسم بوارو وقال:

- كذبة.. وعن طريق هذه الكذبة، سأعرف الحقيقة.



فى بكسهيل

ظل بوارو مشغولا بضعة أيام.. فكان يختفى ساعات طوالا، ثم يظهر فجأة، ثم يستغرق ساعات أخرى فى تفكير عميق، كل هذا دون أن يدعونى للذهاب معه أو يشركنى فى أفكاره.

وبالقرب من نهاية الاسبوع، أعلن عن رغبته فى الذهاب الى بكسهيل وما يجاورها، ثم اقترح أن أذهب معه. وبطبيعة الحال رحبت بالاقتراح.

وتبين لى أن هذه الدعوة لم تقتصر على فقط، وانما شملت (الفرقة الخاصة) أيضا.

وذهبنا الى بكسهيل، وزار بوارو أولا المسز والمستر بارنارد حيث عرف من السيدة الموعد الذى حضر فيه سوست اليها لبيع جواربه، وماذا قال لها على وجه التحديد، ثم ذهب الى الفندق الذى كان سوست قد نزل فيه، وعرف الموعد الذى رحل عنه بالتحديد. ورغم أننى لم أجد فى هذا كله جديدا، الا أن بوارو بدا لى شديد الرضا.

وذهبنا بعد ذلك الى الشاطئ.. الى المكان الذى قتلت فيه بيتى بارنارد، وهناك راح بوارو يسير حوله فى دوائر، ولم أجد أنا فى هذا كله جدوى.. لا سيما أن المد كان يغمر المكان أكثر من مرة فى اليوم.

وانتقل من الشاطئ الرملى بعد ذلك الى أقرب مكان يمكن أن تقف فيه سيارة خاصة، ثم مضى الى الموقف الذى تبدأ منه السيارات العامة رحيلها الى ايستبورن.

وأخيرا ذهبنا جميعا الى مقهى جنجركات، حيث شربنا اقداحا من الشاى قدمتها الينا ميللى هيجلى.

ولشد ما أدهشنى، أن رأيت بوارو يداعب المس هيجلى ويتغزل فى جمال ساقيها، قائلا أن جمال الساقين فى الفتيات الانجليزيات شئ نادر. وضحكت هى ابتهاجا.. وأكدت له أنه (فرنسى) لطيف!

وقال بوارو أخيرا:

– لقد انتهيت من بكسهيل، ولم يبق أمامى غير زيارة لايستبورن، ولا حاجة بكم لان تصحبونى.. والآن هلم نعود الى الفندق لنتناول بضع كئوس من الكوكتيل؟

وعلى مائدة الشراب، قال فرانكلين كلارك:

– أعتقد أنك تريد أن تحطم شهادة ذلك المدعو سترانج.. أليس كذلك؟

– صبرا يا صديقى، صبرا..

– يبدو لى يا سيد بوارو أنك راض عن نفسك جدا.

– نعم، نعم. لان فكرتى الصغيرة بدأت تتبلور الى حقيقة أكيدة.

ثم ارتسمت أمارات الجد على وجهه، وقال فجأة:

– حدثنى صديقى هاستنج ذات يوم أنه كان يحب –وهو شاب لعبة اسمها (لعبة الحقيقة) ومؤداها أن يوجه الى كل فرد من مجموعة اللاعبين ثلاثة أسئلة، عليه أن يجيب –بصدق– على اثنين منها، ويمكنه أن يرفض الاجابة على السؤال الثالث. والأسئلة فى هذه اللعبة تكون بطبيعة الحال بعيدة عن الخصوصيات المحرجة ولهذا يستلزم أن يقسم كل لاعب على قول الحقيقة، ولا شئ غير الحقيقة.

ولما توقف عن الحديث برهة، قالت ميجان بارنارد:

– حسنا!

– آه، أريد أن نشترك فى هذه اللعبة معا، ويكفى أن يوجه الى كل واحد منا سؤال واحد فقط بدلا من ثلاثة.

وقال فرانكلين كلارك فى ملل:

– اننا على استعداد للاجابة على أى سؤال.

– أوه.. ولكن الامر أخطر من هذا.. هل أنتم على استعداد للقسم؟

ولما كان الجد واضحا فى صوته، فقد دهشنا جميعا، ولم يسعنا الا أن نقسم.. الواحد بعد الآخر، على قول الحقيقة، كل الحقيقة، ولا شئ غير الحقيقة.

وقال بوارو مسرورا:

- عظيم جدا.. لنبدأ الآن.

وقالت تورا جراى:

- فلأكن أنا الأولى..

- آه! السيدات أولا.. ولكننا سنخالف هذا التقليد فى هذه المرة.

ثم التفت الى فرانكلين كلارك، وقال:

- ما رأيك فى القبعات التى ارتدتها السيدات فى سباق أسكوت هذا العام؟

- هل أنت جاد فى هذا السؤال يا مسيو بوارو؟

- أجل..

- رأيى أنها قبعات مثيرة للسخرية والضحك.

- عجيبة، شاذة؟

- أجل..

- وأنت يا مستر دونالد فريزر.. متى قمت باجازتك السنوية هذا العام؟

- أجازتى السنوية؟ فى الاسبوعين الأولين من شهر أغسطس.

والتفت بوارو فجأة الى تورا جراى وقال:

- لو أن السير سيرميكال كلارك عرض عليك الزواج بعد وفاة

الليدى زوجته، فهل كنت تقبلين؟

فوثبت الفتاة غاضبة، وهتفت قائلة:

– كيف تجرؤ على توجيه سؤال كهذا الى؟ أنه اهانة..

– ربما.. ولكنك أقسمت على أن تقولى الحقيقة.

– كان السير سيرميكال شديد العطف على وكان يعاملنى كابنته، وهكذا كان شعورى نحوه..

– عفوا يا آنسة.. ولكنك لم تجيبى على سؤالى بلا أو نعم.

– لا.. طبعا!

– شكرا جزيلا..

والتفت بوارو الى ميجان التى كان وجهها شديد الشحوب، ثم قال:

– أخبرينى يا آنسة.. هل تتمنين حقا أن تنتهى تحرياتى بالكشف عن الحقيقة كلها؟

ولشد ما كانت دهشتنا حين سمعناها تقول بوضوح واصرار:

– لا..

وابتسم بوارو، وقال:

– أنك لا تريدين ظهور الحقيقة، ومع ذلك فأنت من اشد أنصارها يا آنسة.

ثم التفت الى مارى دراور، وقال:

- اخبرينى يا آنستى.. هل لك حبيب شاب؟

وفوجئت الفتاة المسكينة، واضطرم وجهها ثم تمتمت:

- اننى.. اننى لست واثقة اذا كان يبادلنى الحب أم لا.

فابتسم بوارو، وقال:

- هذا يكفى يا أبنائى.. والآن، هلم يا هاستنج الى ايستبورن.

وفى الطريق الى ايستبورن، قلت لبوارو:

- هل يمكن أن ألقى عليك بعض الأسئلة يا بوارو؟

- لا يا هاستنج.. عليك أن تصل الى النتائج بمفردك.

ثم استغرق فى سكون عميق..

وبعد فترة وجيزة، أفاق وقال لى:

- غدا سوف أزور ذلك المدعو سوست.

ثم أضاف قائلا للسائق:

- عد بنا الى لندن..

فهتفت قائلا:

- ألن تذهب الى ايستبورن؟

- ما الداعى الى هذا؟ لقد عرفت ما يكفى للوصول الى الحقيقة.

الكسندر بونابرت سوست

لم أحضر المقابلة التى تمت بين هيركيول بوارو، والمدعو الكسندر بونابرت سوست لان القاضى لم يصرح بزيارته الا لبوارو فقط.

ولكنى سأسرد فيما يلى تفاصيل ما دار بينهما بدقة كاملة بناء على حديث بوارو معى بعد ذلك.

لقد بدا سوست منكمشا على نفسه، ولاح كأنما ازداد جسمه انحناء، وهو لا يكف عن العبث بأصابعه فى أطراف معطفه.

ومرت برهة طويلة -كما أخبرنى بوارو- دون أن ينطق أحد بكلمة، وانما جلس الاثنان كل فى مواجهة الآخر فى هدوء واسترخاء.

وقال بوارو أخيرا بصوت رقيق:

- أتعرف من أنا؟

فهز الرجل رأسه، ورفع وجهه الى بوارو، وقال وهو يطرف بعينيه:

- لا.. لا أعرفك.. هل أنت أحد المحامين فى مكتب المستر

لوكاس؟

- اننى هيركيول بوارو..

وحرص بوارو على أن يلاحظ بدقة تأثير هذا الاسم على الرجل. ورفع هذا وجهه مرة أخرى، وتمتم ببساطة قائلا:

- آه.. نعم..

وبعد لحظة، عاد يقول بصوت ينم على الانفعال وكأنما بدأ يتذكر:

- آه، المسيو بوارو.. هيركيول بوارو؟

- أننى الرجل الذى كنت تبعث اليه برسائلك.

وفجأة أغضى المستر سوست بعينيه، وقال باضطراب:

- اننى لم أكتب اليك أبدا.. هذه الرسائل لم أكتبها أنا... هذا ما قلته كثيرا طوال جلسات التحقيق.

- أعرف هذا.. ولكن اذا لم تكن أنت كاتبها، فمن يكون؟

- أحد الاعداء.. لابد أن لى عدوا.. ان الناس جميعا يعادوننى ولا أدرى لماذا.. انها مؤامرة ضخمة مدبرة ضدى... ولكن لماذا؟

فصمت بوارو برهة ثم قال:

- هل كان الناس يعادونك حتى وأنت طفل؟

- لا.. لا أظن.. كانت أمى شديدة الحب لى، وكانت تركز كل آمالها الكبار فى شخصيتى، وتعتقد أنى سأكون عظيما يوما ما.. ولهذا اسمتنى الكسندر بونابرت، وكأنما الاسم وحده يمكن أن يخلق

من صاحبه شخصا عظيما. ولكنها كثيرا ما كانت تؤكد لى ان الانسان هو سيد مصيره، وأن فى مقدوره أن يحدد مستقبله كما يشاء!

وصمت برهة قبل أن يستطرد قائلا:

- ولكنها كانت مخطئة.. وهذا ما عرفته بنفسى، لأنى لم أكن من الاشخاص الذين يمكن أن يظفروا بمكانة رفيعة فى الحياة. كنت دائما ارتكب الحماقات التى تثير سخرية الناس منى.. وهكذا أصبحت خجولا، خائفا من الناس، ولشد ما عانيت من سخرية زملائى فى المدرسة من اسمى!

ومرة أخرى، لزم الصمت فترة وجيزة قبل أن يردف قائلا:

- وماتت أمى.. ماتت حزينة ساخطة، والتحقت بالمعهد التجارى، وتخرجت فيه متخلفا عن جميع زملائى، وأنا اذا كنت أبدو أمام الناس غبيا، ألا أننى فى الواقع لست غبيا!

- أننى أدرك هذا.. استمر.

- ولشد ما كنت أتألم كلما رأيت الناس ينظرون الى على أنى انسان غبى متخلف أبله، وقد ازداد شعورى بالألم أثناء التحاقى بالعمل كاتبا فى احدى الشركات.

وأشرق وجه سوست فجأة، حين استطرد يقول:

ولكننى استمتعت بالفترة التى قضيتها بين زملائى الجنود فى الحرب، لأنى وجدت نفسى فجأة فى مستوى واحد معهم.. ولكننى للأسف أصبت بجرح فى رأسى، فسرحت من الخدمة العسكرية لأنى

أصبت -بسبب ذلك الجرح- بداء الصرع، والواقع اننى لا أعرف على وجه التحديد ماذا دهانى، فأنا أحيانا أقوم بأعمال على غير وعى منى..!

- وبعد ذلك؟

- اشتغلت كاتبا فى شركة.. ولكننى لم أحسن القيام بعملى، فكان زملائى يتخطوننى فى الترقيات، وأصبح مرتبى لا يكاد يكفى ضروريات الحياة، ولا سيما بعد الارتفاع الجنونى فى الاسعار.. ولهذا السبب رحبت بالعمل كمندوب متجول لمصنع جوارب نسائية نظير مرتب وعمولة على البيع.

وهنا قال بوارو برفق:

- ولكنك علمت أن أصحاب المصنع ينكرون أنهم عهدوا اليك بعمل كهذا.

فقال سوست، وقد عاوده الاضطراب:

- لأنهم مشتركون فى هذه المؤامرة.. وان معى أدلة مكتوبة.. معى رسائل مرسلة من ادارة المصنع فيها التعليمات عن الاماكن التى يجب أن أذهب اليها لأبيع فيها وقائمة بأسماء الأشخاص الذين يجب أن اذهب اليهم وأعرض عليهم الجوارب.

- ان هذه الرسائل مكتوبة على الألة الكاتبة.

- طبعا.. لان ادارة مصنع كهذا لابد أن تكتب رسائلها على آلة كاتبة.

– ألا تعرف أن فى الامكان معرفة نوع الآلة التى كتبت هذه الرسائل؟

– طبعا.. هذه مسألة بديهية.

– لقد ثبت ان هذه الرسائل مكتوبة على الآلة الكاتبة التى وجدت فى غرفتك.

– ان هذه الآلة أرسلتها ادارة المصنع لى عند بدء التحاقى بالعمل.

– أجل.. ولكن هذه الرسائل أرسلت اليك بعد استلامك الآلة. ومعنى هذا أنك كتبت عليها الرسائل وارسلتها الى نفسك.

– لا، هذا لم يحدث.. أنها جزء من المؤامرة!

– ومجموعة كتب دليل أ. ب. س للسكك الحديدية التى وجدت فى غرفتك؟

– لا أعرف عنها شيئا، لقد ظننت أنها لفافة تحتوى على علب جوارب.

– لماذا وضعت علامة اسم المسز آسكر فى اندوفر؟!

– لانى قررت أن ابدأ عملية البيع معها.. ان على الانسان أن ينظم أعماله، ويحدد مرحلة البدء.

ثم أردف قائلا فى انفعال شديد:

– انها مؤامرة دنيئة ضدى.. وليس أدل على ذلك من وجودى فى ليلة جريمة بكسهيل، فى مكان بعيد.. فى ايستبورن حيث كنت العب الدومينو مع المستر سترانج.

فهز بوارو كتفيه، وقال:

- من السهل أن يخطئ الانسان فى التاريخ، ولا سيما اذا كان الخطأ فى تاريخ يوم واحد. وان رجلا عنيدا مثل سترانج يرفض أن يعترف بخطئه مهما تكن الظروف، ومن السهل عليك أن تكتب فى سجل الفندق تاريخ يوم سابق أو لاحق على يوم الجريمة دون أن يفطن أحد الى هذا!

- لقد كنت ألعب الدومينو فى تلك الليلة..

وفجأة هتف الرجل قائلا فى ألم:

- آه.. لقد عاودتنى نوبة الصداع.. أنه مؤلم.. مؤلم. أنه يجعلنى فى بعض الاحيان لا أدرى ماذا أقول أو أفعل.

وانحنى بوارو نحوه فجأة، وقال:

- ولكنك تعلم أنك ارتكبت هذه الجرائم. أليس كذلك؟

ورفع المستر سوست وجهه، وبدت نظراته هادئة بسيطة.. وكأنما قد تلاشت من نفسيته كل رغبة للمقاومة.. وأخيرا قال:

- نعم.. أعلم!

- وأنا على حق فى قولى أنك لا تعرف لماذا ارتكبت هذه الجرائم. أليس كذلك؟

- نعم.. اننى لا أعرف لماذا!

بوارو يكشف الحقائق

كنا جالسين فى اهتمام وترقب، ونحن ننصت الى بوارو وهو يكشف لنا عن جميع الحقائق فى جرائم (أ. ب. س).

قال:

– كان أهم ما يشغل فكرى هو (لماذا) ارتكب هذه الجرائم.. نعم، لماذا ارتكب المجرم هذه الجرائم؟

– ولماذا اختارنى أنا بالذات للتحدى؟

– ولهذا يشهد صديقى هاستنج اننى كنت مهتما ومضطربا عندما استلمت الرسالة الأولى، لأنى أحسست أن حقيقة الأمر أخطر مما يبدو فى ظاهره.

وهنا قال فرانكلين كلارك فى جفاف:

– وثبت أنك كنت على حق فى هذا الشعور يا مسيو بوارو.

– نعم.. ولكننى اخطأت حين أهملت هذا الشعور القوى، ونظرت

اليه على أنه نوع من الالهام أو الاسراف فى الخيال أو التخمين، وكلنا يخمن طبعا، والتخمين قد يكون صحيحا أو خاطئا.. فاذا كان صحيحا سمى الهاما، واذا كان خاطئا، أهمل أمره.

ـ ولكن ما نسميه الالهام ليس فى الواقع الا شعورا باطنيا قائما على أساس من الخبرة والاستنتاج المنطقى.. فعندما يشعر أحد الخبراء بأن ثمة خطأ ما فى لوحة تاريخية أو قطعة أثرية أو توقيع على شيك، فان الشعور بالخطأ يأتى نتيجة مجموعة كبيرة من التفاصيل الصغيرة.. أنه فى غير حاجة لأن يفحص هذه التفاصيل بدقة، كل منها على حدة. ولكن خبرته تجمع هذه التفاصيل، وتجعله يحس بالنتيجة..

وصمت بوارو برهة قبل أن يستطرد قائلا:

– وعلى هذا الاساس أحسست أن شيئا ما خطيرا يكمن وراء تلك الرسالة الأولى.. ولكن ادارة اسكتلانديارد سخرت منها، وقالت:

ـ انها مجرد دعابة ثقيلة من أحد الفارغين التافهين. ولم يلبث حادث اندوفر أن أثبت أنى كنت على حق فى ذلك الشعور الخفى ولم أعرف بطبيعة الحال المجرم الذى ارتكب هذه الجريمة.. وهكذا أوجب على أن أحاول التعرف عليه من دلالات الرسالة وطريقة ارتكاب الجريمة، وشخصية المجنى عليها.

ـ ولكن أهم من هذا كله هو أن أعرف (لماذا) ارتكبت هذه الجريمة، ولماذا اختارنى المجرم بالذات ليبعث الى برسالته!

فقال فرانكلين كلارك:

– رغبته فى الشهرة والظهور!

وقالت تورا جراى:

– لا شك أن الشعور بمركب النقص هو المبرر لهذه الجرائم.

– هذا هو التبرير الواضح.. ولكن لماذا أرسل الى أنا، أنا هيركيول بوارو؟ اذا كانت الشهرة بغيته، فلماذا لم يبعث برسائله الى ادارة اسكتلانديارد أو الى احدى الصحف؟..

– أنه لو فعل هذا لظفر بالمزيد من الشهرة، أن كانت الشهرة بغيته حقا. فلماذا اذن اختارنى أنا بالذات؟ هل اختارنى لاسباب شخصية؟ هذا ما لم أعرفه فى حينه.

وصلت الرسالة الثانية التى أعقبها حادث مقتل بيتى بارنارد. وقد اثبتت لى هذه الجريمة أن المجرم ينوى ارتكاب عدة جرائم طبقا لترتيب الحروف الهجائية.

ولكننى مرة أخرى أقول أن السؤال المهم جدا، ظل بلا جواب. وهو:

– لماذا يرتكب المجرم هذه الجرائم؟

وهنا تململت ميجان بارنارد فى جلستها وقالت:

– ألا يوجد شئ اسمه شهوة القتل؟

– أجل يا آنسة.. يوجد شئ اسمه شهوة القتل فعلا. ولكن هذه الشهوة اذا استبدت برجل ما، والعادة أن يكون مجنونا، فانها تدفعه

الى القتل بالجملة، الى قتل أكبر عدد من الناس.

وأهم ما يشغل بال مثل هذا القاتل هو تغطية كل أثر ينم عليه، لا أن يعلن عن الجرائم مقدما بمثل هذه الرسائل. ثم لماذا كان يحرص على أن يترك مع كل جثة دليل (أ. ب. س) للسكك الحديدية؟ لقد كان فى مقدوره أن يرتكب هذه الجرائم خفية تاركا عبئها يقع على أشخاص يمكن الاشتباه فيهم، مثل المستر آسكر زوج الضحية الأولى، والمستر دونالد فريزر، خطيب الضحية الثانية..

- وهكذا. اذن لماذا حرص على أن يركز الاتهام على شخصه بالذات؟ هل هو الدافع لأن يكون شهما كريما؟ وهل يمكن أن تعرف الشهامة طريقا الى قلب قاتل كهذا؟

وصمت بوارو برهة، ثم استطرد يقول:

– على أن هناك معالم استطعت بها أن أعرف شيئا عن عقلية المجرم ونفسيته..

فقال فريزر:

– مثل ماذا؟

– أولا ادركت أن له عقلية جدولية.. لقد رأى أن من الاهمية أن يرتكب جرائمه حسب الحروف الهجائية لاسماء الضحايا. فلو لم تكن له عقلية جدولية، لما اهتم بأمر كهذا كل الاهتمام. ومن ناحية أخرى لم يكن له احساس خاص نحو الضحايا.. فان المسز آسكر، وبيتى بارنارد، والسير سيرميكال، يختلفون بعضهم عن بعض أشد الاختلاف.. أى لم

يكن فى الموضوع عقدة جنس، ولا عقدة سن معينة. وهذا من الأسباب التى حيرتنى كثيرا. فالمجرم حين يعمد الى ارتكاب جريمة ما، ولا سيما اذا كانت جريمة محكمة أشد الاحكام، فانما يهدف بذلك الى ازاحة شخص ما يضايقه من الطريق. ولكن الحرص على ارتكاب هذه السلسلة من الجرائم حسب الترتيب الهجائى لاسماء الضحايا، لا يتفق مع هذه النظرية.. ولكن هذه العقلية الجدولية قد تدل من جهة أخرى على كراهية متأصلة للحروف الهجائية.

وشئ آخر اسمح به لنفسى فى ميدان الاستنتاج، وهو ان اختيار دليل السكك الحديدية ينم على طبيعة ذكرية، لان الاطفال الذكور هم الذين يحبون اللعب بأدوات السكك الحديدية كالقطارات والقضبان.. وما دمنا دخلنا فى ميدان اللعب، يمكن أن نقول أن للمجرم المجهول عقلية صبيانية!

والطريقة التى ماتت بها بيتى بارنارد قد أوحت الى باستدلال آخر.. ومعذرة يا مستر فريزر، فان استعمال حزامها هى فى قتلها دليل على أن القاتل كان على علاقة مودة ومداعبة معها. واستطيع أن أتصور أنه فك حزامها مداعبا، ثم لفه حول عنقها مداعبا، وهو يضحك قائلا: (هل اخنقك) وبينما هى تشاركه الضحك، يكون هو قد بدأ فى خنقها فعلا.

ونحن نعرف الآن أن بيتى كانت فتاة تحب الغزل، وتميل الى الرجل الوسيم الذى يعرف كيف يجذبها بشخصيته اللطيفة.. وفى هذه الحالة ينبغى أن يكون القاتل شخصا جذابا للنساء بصفة عامة!

وهنا حاول دونالد فريزر أن يحتج، ولكن بوارو أسرع يقول:

- انتهينا من هذه النقطة يا مستر فريزر.. ولننتقل الى الجريمة التالية.. الى مصرع السير سيرميكال. وهنا نجد المجرم يعود الى طريقته الاولى.. الضرب على الرأس. وهنا أيضا نجد عقدة الاحرف الهجائية واضحة.. ولكن جريمة سيرستون هذه لم تزودنى الا بالقليل جدا من المعالم، لأن الرسالة التى أرسلت الى أخطأت طريقها فى العنوان مرتين حتى وصلتنى متأخرة، أى بعد وقوع الجريمة.

ولكن عندما أعلن المجرم عن جريمة (د) اتخذ رجال المباحث اجراءات ضخمة، وظهر واضحا أن المجرم لن يستطيع الافلات هذه المرة من العدالة. وفى الوقت نفسه كنا قد علمنا أن القاتل يبيع الجوارب النسائية لحساب مصنع ما، ولكننى فى الحقيقة لم أكن أتوقع أن يكون على ذلك الشكل الذى وصفته به المس تورا جراى، لان هذا الشكل لم يكن يتفق مع الصورة التى تخيلتها عنه ليكون هو قاتل بيتى بارنارد!

وننتقل الى المراحل التالية بسرعة.. لقد ارتكبت جريمة رابعة. وكان المجنى عليه فى هذه المرة رجلا يدعى جورج ايرسفيلد.. وقد افترضنا أن القاتل حسبه رجلا يدعى داونز، على نفس الشكل والحجم وكان يجلس بجانب المجنى عليه فى السينما.

وهنا تدور أخيرا عجلة الحظ ضد القاتل.. وهكذا تنتهى الأمور بمطاردته ثم القبض عليه. وتعتبر القضية -كما قال هاستنج- منتهية. وأعتقد أنها بالنسبة للرأى العام، وللجميع، منتهية أيضا، لأن القاتل فى

السجن ينتظر صدور الحكم عليه. ولكن فى هذه القضية تظهر ثغرة بسيطة مزعجة، وهى شهادة المدعو سترانج عن ليلة وقوع الجريمة الثانية فى بكسهيل.

وقال فرانكلين كلارك عندئذ:

- نعم.. هذه ثغرة واضحة تحتاج الى تفكير عميق!

فأومأ بوارو برأسه، وقال:

- تماما يا مستر كلارك.. وهذا التفكير العميق يجعلنا نفترض مثلا أن قاتل بيتى بارنارد ليس المستر سوست، وانما شخص آخر انتهز فرصة هذه الضجة ليرتكب هذه الجريمة، وهو مطمئن الى أنها ستضيع بين سلسلة الجرائم الاخرى التى يرتكبها مجرم (أ. ب. س): هذه نظرية معقولة، وتؤيدها السوابق التى حدثت فى جرائم (جاك السفاح).. ذلك أن كثيرا من المجرمين انتهزوا تلك الفرصة وراحوا يقتلون بطريقة (جاك السفاح) ليلقوا تبعة هذه الجرائم عليه. ويزيد من تأييد هذه النظرية أن الرجل الذى استطاع أن يجتذب بيتى اليه ثم يقتلها، لابد أن يكون رجلا جذابا له طريقته الخاصة مع النساء. وهذه الصفات غير متوفرة فى المستر سوست. ولكن يمكن أن نهدم هذه النظرية من أساسها بقولنا أن جريمة اندوفر -أى مقتل المسز آسكر- كانت تبدو للرأى العام جريمة عادية لا تدل على أنها الأولى فى سلسلة من الجرائم، لأننا لم نذكر للصحف أية تفاصيل عن رسائل القاتل الى.. أو عن وجود دليل السكك الحديدية بجانب الجثة. ومعنى هذا أن قاتل بيتى بارنارد لم يكن يعلم أن هناك سلسلة من الجرائم فى

طريقها الى الحدوث.

وهنا وجدت نفسى أمام عقدة لا أعرف لها حلا.. ولكننى فى الوقت نفسه، كنت أشعر أن هناك شيئا خطيرا فى الرسائل التى كانت تصلنى. كنت أشعر نحوها بشعور الخبير الفنى أمام لوحة مزيفة.. أنه يشعر، بخبرته وعقله الباطن أنها مزيفة، ولكنه لا يدرى لماذا؟ ومن ثم عدت أفحص هذه الرسائل وأعيد قراءتها، حتى أدركت أخيرا سر شعورك الغامض نحوها!

وهنا قال فرانكلين كلارك باهتمام:

– وما هو هذا السر يا مسيو بوارو؟

– شعرت أن هذه الرسائل لم يكتبها رجل مجنون كما ظننا جميعا، وانما كتبها رجل عاقل يتمتع بذكاء خارق للعادة.

فهتفت أنا قائلا فى دهشة:

– ماذا؟!

– نعم يا عزيزى هاستنج.. ان كاتب هذه الرسائل أراد أن يجعلها تبدو كأنما هى مكتوبة بيد رجل مجنون.. بينما الامر فى الحقيقة غير هذا!

فقال فرانكلين كلارك:

– ان هذا غير معقول يا مسيو بوارو!

– حسنا! لنفكر مليا فى الأمر.. ما هو الهدف من كتابة هذه

الرسائل؟ الهدف هو تركيز الانتباه على كاتبها، لتركيز الانظار على الجرائم!

وبدا لى أن تركيز الانتباه على المجرم والجرائم لا معنى له.. وفجأة وضح الامر أمامى. وضح لى أن الغرض هو تركيز الانتباه على عدد من الجرائم.. على مجموعة من الجرائم. ألم يكن شكسبير هو القائل: (أنك لا تستطيع أن ترى شجرة فى وسط غابة أشجار) وهذا يعنى أن الانسان لا يرى دبوسا معينا بين مجموعة دبابيس، ولكنه يراه اذا كان مفردا. وهذا أيضا يعنى أن الجريمة الواحدة تكون مكشوفة، والدافع اليها يبدو واضحا، أما اذا كانت بين مجموعة من الجرائم التى لا يعرف أحد لها حافزا أو باعثا معينا، فانها تتوه أو تضيع بينها!

ووجدت نفسى أواجه مجرما خارق الذكاء.. مجرما داهية، قاسيا، جريئا، له طبيعة المغامر المحترف. وهذه الصفات كلها لا تنطبق على المستر سوست بأية حال من الأحوال.. أنه ببساطة ليس الرجل الذى يرتكب كل هذه الجرائم بمثل هذه الأحكام.

- أما المجرم الحقيقى فهو رجل مختلف تماما.. رجل له مزاج صبيانى (يدل عليه التريب الهجائى ودليل السكك الحديدية) رجل جذاب للنساء، ولا يهتم كثيرا بالنفس الانسانية، وله مصلحة خاصة أكيدة فى جريمة من هذه الجرائم.

اذا وقعت جريمة ما.. فماذا يخطر ببال المحققين لأول وهلة؟

- البحث عن الدافع على القتل، ومعرفة أين كان الذين يدور حولهم الاشتباه، ومن هم الذين سينتفعون من وراء ارتكاب هذه

الجريمة. فاذا كان الدافع الى القتل واضحا جدا، فان المشتبه فى أمره عندئذ -أى المجرم الحقيقى- يبذل قصارى جهده ليقيم الدليل على أنه كان بعيدا عن مسرح الجريمة عند وقوعها، ولكن هذا الجهد كثيرا ما ينكشف أمره، وكثيرا ما يكشف التحقيق بطلان الأدلة التى يمكن أن يسوقها المجرم لاثبات براءته.

ولهذا كله رأى مجرمنا أن يحصن نفسه بسد منيع من الأدلة، ففكر فى هذه السلسلة من الجرائم التى تبدو فى أنظار الجميع أنها جرائم مجنون تطغى عليه شهوة القتل!

وما على الآن الا أن استعرض هذه الجرائم المختلفة لاهتدى من ورائها الى الاشخاص الذين يمكن أن يدور الاشتباه حولهم، ثم أحاول أن اركز الاتهام كله فى شخص واحد بينهم يكون هو صاحب مصلحة أساسية فى ارتكاب جريمة منها، ثم ارتكب الجرائم الباقية لتضيع الجريمة الأصلية بينها. ولنبدأ بجريمة أندوفر! ان أول شخص يمكن أن نشتبه فيه هو فرانز آسكر زوج المجنى عليها.

- ولكن شخصية آسكر لا تدل اطلاقا على أن فى مقدوره تدبير وتنفيذ هذه السلسلة من الجرائم.

فلننتقل اذن الى جريمة بكسهيل، والاشتباه فيها يدور حول المستر دونالد فريزر.. أنه شاب ذكى له عقلية رصينة مدبرة، يمكن أن تضع خطة محكمة لمثل هذه السلسلة من الجرائم. ولكننى عرفت أنه نال أجازته السنوية فى الاسبوعين الأولين من شهر أغسطس، وهذا لا يتيح له اطلاقا أن يرتكب الجريمة الأولى، أو الجريمة الثالثة فى

سيرستون، ثم لماذا يرتكب جريمة بكسهيل.. بدافع الغيرة؟ أنه مبرر ضعيف لاسباب كثيرة، اذ لم يثبت بصفة قاطعة ان بيتى أمعنت فى خيانته امعانا يدفعه الى قتلها، ثم أنها لم تكن زوجته.. وحتى لو كانت كذلك، لما ارتكب هذه السلسلة الرهيبة من الجرائم لمجرد الانتقام من فتاة يمكن أن يفترق عنها ببساطة كما يفترق أى خطيب عن خطيبته. لا.. ان الغيرة فى هذه الحالة لا تبرر اطلاقا ارتكاب هذه السلسلة من الجرائم.

ومن ثم ننتقل الى الجريمة الثالثة.. وهنا نجد أنفسنا واقفين على أرض من الحقائق الواضحة والمبررات القوية.. فقد كان السير سيرميكال كلارك رجلا واسع الثراء.. فمن الذى سوف يرث هذه الثروة الطائلة بعد وفاته؟.. زوجته التى من حقها أن تستمتع بالثروة أثناء حياتها ثم تنتقل بعد ذلك الى أخيه فرانكلين كلارك؟.. كلنا نعرف أن الزوجة فى حالة احتضار بطئ الآن.

واستطرد بوارو ببطء حتى تلاقت نظراته بنظرات فرانكلين كلارك، ثم استطرد قائلا:

– كنت واثقا عندئذ أن ذلك الشخص الذى طالما فكرت فيه على أنه صاحب رسائل أ. ب. س ليس أحد سوى فرانكلين كلارك.. أنه الشخصية المغامرة التى طافت كثيرا خارج البلاد، والذى يتمتع بجاذبية خاصة للنساء تجعل فى مقدوره أن يتعرف ببساطة على أية فتاة جميلة فى مقهى مثل الجنجركات، وأن يتواعدا على اللقاء سرا، أنه الشخصية ذات العقلية الصبيانية، كما قالت الليدى كلارك، الذى يميل الى قراءة كتب المغامرات مثل كتاب (أطفال السكك الحديدية) للكاتب

نيسببيت، كما ذكر لى بنفسه أنه كان يقرؤه للمرة الثانية.. نعم، أن كل الصفات المتوفرة فى كاتب تلك الرسائل كانت تنطبق تماما على فرانكلين كلارك.

وضحك فرانكلين عاليا، وقال:

– حقا أنك نابغة يا مسيو بوارو! وماذا عن صاحبنا سوست الذى قبض عليه ودماء المجنى عليه فى الجريمة الرابعة على كم معطفه. وعن السكين التى وجدت فى مسكنه؟ أنه قد ينكر الجرائم الثلاث الأولى، ولكن..

– أنك مخطئ فى هذا يا مستر كلارك.. لقد اعترف بارتكابه الجرائم كلها!

– ماذا؟ اعترف؟ أتقول اعترف؟!

– نعم.. أننى ما أن فرغت من حديثى معه حتى أصبح يعتقد، مجرد اعتقاد، أنه هو الجانى.

– ومع ذلك فأنت غير مطمئن؟

– نعم.. لأنى ما أن رأيته حتى أيقنت تماما أن هذا الرجل لا يمكن أن يكون الجانى بأى شكل.. ليست له الجرأة، ولا الاعصاب، ولا التفكير اللازم لتدبير وتنفيذ هذه السلسلة من الجرائم. ولكننى أدركت حين رأيته أنه الشخصية التى اتخذها القاتل الحقيقى ليختفى وراءها، ثم يقدمها فى النهاية للعدالة باعتبارها المجرم الحقيقى.. وكأنما لم يكفك يا مستر كلارك أن ترتكب هذه الجرائم كلها، وانما أبيت إلا أن

تقدم عن نفسك كبش فداء!

واعتقد أن الفكرة نبتت فى ذهنك عندما التقيت مصادفة بالمستر الكسندر بونابرت سوست فى أحد المقاهى.. ولعل اسمه العجيب لفت انتباهك، ثم ازداد اهتمامك به حين رأيت شخصيته الواهنة الضعيفة المسالمة. وكنت فى ذلك الحين تستعرض فى ذهنك مختلف الوسائل لقتل أخيك.

– أحقا؟ لماذا؟

– لأنك كنت شديد القلق على المستقبل.. كنت تخشى أن يتزوج أخوك بسكرتيرته توراجراى، بعد وفاة زوجته الليدى كلارك، وينجب منها وريثا لثروته، لاسيما وقد كان أخوك محتفظا بقوته وحيويته. وفى هذه الحالة تظل أنت طيلة حياتك شريدا مفلسا.. وأن خبرتك التى اكتسبتها من رحلاتك فى الخارج، ومن علاقاتك بالنساء جعلتك تدرك أن تورا جراى من النوع الصياد الذى يجرى وراء الرجل الثرى، وهكذا قررت أن تبادر وتؤمن مستقبلك بالقضاء على أخيك قبل أن تموت زوجته، وقبل أن تسنح له فرصة الزواج بتورا جراى.

ولما التقيت بالمستر سوست وعرفت اسمه الكامل، بدأت فكرة جرائم أ. ب. س تتبلور فى ذهنك، لاسيما حين علمت أنه مصاب بالصرع أيضا، وبنوبات من الصداع المؤلم الذى يجعله -كما قال لك- لا يكاد يشعر بما يقول أو يفعل!

واختمرت الفكرة فى ذهنك وتبينت كل معالمها، وقررت ان ترتكب سلسلة من الجرائم تضيع بينها جريمة سيرستون، على أن تكون أسماء

الضحايا مطابقة لتسلسل الحروف الابجدية، وهو التسلسل الذى أوحى به اليك اسم الكسندر بونابرت سوست. أى أ. ب. س. وأن تجعل منه هو كبش الفداء!

وكان تدبيرك عجيبا محكما.. اذا كتبت باسم أ. ب. سوست رسالة على آلة كاتبة عندك، تطلب فيها من أحد المصانع كمية من الجوارب والملابس النسائية الداخلية، وأعددت كمية من كتب دليل أ. ب. س. للسكك الحديدية فى لفافة تبدو كأنها لفافة تحتوى على علب جوارب وملابس داخلية نسائية، وكتبت له هو رسالة على الآلة الكاتبة، باسم المصنع، تعرض عليه فيها مرتبا مجزيا وعمولة على البيع، ثم كتبت على نفس الآلة مجموعة من الرسائل التى نويت أن ترسلها الى باسم أ. ب. س ثم أرسلت الآلة الكاتبة نفسها الى سوست على اعتبار أنها هدية من مصنع الجوارب اليه. وشرعت بعد ذلك تبحث عن ضحايا تبدأ أسماؤهم بالاحرف أ. ب. س. د على أن يكون كل منهم مقيما فى بلدة يطابق الحرف الأول من اسمها الحرف الاول من اسمه.

وبدأت ببلدة أندوفر، ووقع اختيارك على المسز آسكر حين قرأت اسمها بوضوح على اللافتة، وحين رأيت أنها امرأة عجوزا وحيدة يمكن قتلها بسهولة.

أما الحرف (ب) فقد استلزم منك مناورة غرامية بارعة، لكى توقع بيتى بارنارد فى حبائلك، ولكى تخرج معها للنزهة فى أماكن بعيدة زاعما لها أنك رجل متزوج، ولا تحب أن ينتشر أمر علاقتك بها..!

ولما تمت جميع تدابيرك الأولية، ارسلت الى رسائل التحدى،

وأرسلت الى سوست قبل كل جريمة، باسم المصنع، تعليمات تأمره فيها بالذهاب الى مسرح الجريمة فى نفس يوم وقوعها، بحجة بيع جوارب لسيدات معينات ذكرت له أسماءهن.. فمثلا جعلته فى صباح يوم ارتكاب جريمة اندوفر يذهب الى اندوفر، ويبيع أو يعرض للبيع جوارب على المسز آسكر والمسز فاولر جارتها وبعض السكان الآخرين. وكذلك فعلت فى كل من جريمة بكسهيل وسيرستون. وطبعا كان المسكين يذهب وهو خالى الذهن تماما من الجرائم التى ترتكب باسمه ومن وراء ظهره. وهكذا نجحت فى ارتكاب جريمة أندوفر، وفى ارتكاب جريمة بكسهيل.. ولكننى واثق تماما أنك قتلت بيتى بارنارد قبل منتصف ليل الرابع والعشرين من يولية على سبيل ضمان النجاح.

وننتقل الآن الى الجريمة الثالثة.. الجريمة الهامة، الأساسية، التى أردت أن تجعلها تضيع بين هذه السلسة من الجرائم. وهنا أشكر صديقى هاستنج الذى كان أول من لفت نظرى الى عنوانى الذى كتب خطأ عن عمد على مظروف الرسالة لكى يصلنى متأخرا، أى بعد وقوع الجريمة. نعم.. لقد تعمدت أن تكتب العنوان خطأ حتى تضمن ارتكاب الجريمة الثالثة الاساسية قبل أن يتدخل رجال المباحث فى الأمر، وهذا أيضا يفسر اختيارك لى بالذات لكى تبعث بهذه الرسائل الى. لقد اخترتنى بالذات لان فى مقدورك أن تكتب عنوانى خطأ.. أما لو اخترت اسكتلانديارد أو احدى الصحف، لما أمكنك أن تكتب العنوان خطأ.. وحتى لو كتبته، فان ادارة البريد كانت سترسله فورا الى العنوان الصحيح. والواقع أن هذا التفكير يدل على عقلية جبارة خارقة الذكاء!

وبعد نجاحك فى ارتكاب الجريمة الثالثة التى أقامت الدنيا واقعدتها، رأيت أن تختتم سلسلة الجرائم بجريمة رابعة تبعد بها كل اشتباه فى أمرك، وتجعلها واضحة المعالم كثيرة الأخطاء بحيث تنتهى بالقبض على كبش الفداء. وهكذا اخترت دونكاستر مسرحا لها، وحددت يوم الاحتفال بعيد سانت ليجير، واخترت رجلا، أى رجل، كان فى طريقه الى السينما بعد أن رأيت سوست يدخلها، وكنت تسير وراءه تتعقبه لتنتهز أول فرصة سانحة ترتكب فيها جريمة وتلقى بعبئها عليه. وساعدك الحظ، ودخلت وجلست على مقربة من سوست. ونهضت قبل نهاية العرض، وسرت فى طريق الخروج، ثم تظاهرت بأنك تتعثر، وبأن قبعتك وقعت على مقعد أمامى، وأثناء استردادك لها طعنت الرجل الجالس بجوارك بالسكين فى القلب تماما. ولم يكن يهمك أن يكون اسمه يبدأ بالحرف (د) أم لا، لأنك كنت تعتقد أنه لابد أن يكون بين المتفرجين رجل يبدأ اسمه بهذا الحرف فيظن الناس أنه كان هو المقصود، ولكن المجرم أخطأه. وأيا كان الامر فقد كان هدفك الأساسى هو أن ينكشف أمر الجريمة الرابعة وأن تثبت على المستر سوست، ولهذا تعمدت أن تصطدم به عند الخروج من السينما حيث انتهزت فرصة عدم الاضاءة الكاملة والزحام والاصطدام به من الخلف فمسحت نصل السكين أو جانب منها فى كم معطفه، ثم أسقطتها فى جيب المعطف.

ويمكننا أن نتصور حالة المسكين سوست حين يعود الى غرفته بالفندق فيجد الدماء على كمه والسكين فى جيبه، ثم حين يربط بين هذا كله وبين ما يقرؤه عن سلسلة الجرائم التى يرتكبها رجل يدعى أ.

ب. س، وحين يتذكر أنه كان موجودا فى مسرح كل جريمة فى نفس يوم وقوعها. لا شك أن الامور اختلطت فى عقله وخامره الشك فى نفسه وفى أنه ربما يكون قد ارتكب هذه الجرائم على غير شعور منه. ولكن.. ماذا عن الرسائل؟ ان المسكين يخرج من غرفته، من مسكن المسز ماربرى فى لحظة يأس ويمضى شاردا، بلا مال أو هدف. ولكن.. الى أين؟ أن قدميه تقودانه بغير وعى الى أندوفر. وهناك وقف يتأمل دكان المسز آسكر الضحية الأولى، ثم انصرف عنها حيث فاجأته نوبة الصرع وهو يدخل مركز الشرطة. ولما اعترف لى، فى لحظة يأس واستسلام للمصير بأنه ارتكب هذه الجرائم ازددت أنا يقينا من نظريتى.

وهنا قال فرانكلين كلارك:

- ان نظريتك هذه غريبة شاذة!

- لا يا مستر كلارك! لقد كنت آمنا على نفسك لعدم وجود أدلة.. أما الآن فقد توافرت الأدلة على اتهامك!

- أدلة؟!

- نعم.. لقد عثرنا على العصا التى استعملت فى جريمة اندوفر وسيرستون. وهى عصا عادية الشكل، ولكن طرفها الأعلى مفرغ ومصبوب فيه رصاص. عثرنا عليها فى خزانة قديمة بقصر أخيك فى بلدة سيرستون. وتعرف على صورتك ثلاثة من الذين كانوا فى السينما، وقالوا أنك كنت أحد الخارجين منها بعد انتهاء عرض الفيلم الذى وقعت أثناءه الجريمة الرابعة. وتعرفت على صورتك ميللى

هيجلى، وفتاة أخرى تدعى سكارليت رانو فى مشرب رود هاوس الذى جلست فيه مع بيتى بارنارد، فى ليلة الجريمة.

وأخيرا، وهذا هو الاهم، عثرنا على بصمة من بصمات أصابعك على الآلة الكاتبة التى وجدناها فى غرفة المستر سوست.. فلو أنك كنت بريئا، لما كان لك أى شأن بها!

وساد الصمت برهة، وفجأة قال فرانكلين كلارك:

– اننى لست آسفا على ما فعلت. لقد كنت أريد أن أضمن مستقبلى.

ثم دس يده فى جيبه، وأخرج مسدسا صغيرا، وضعه على جانب رأسه.. ولكن بوارو كان له بالمرصاد، فضربه على يده، وألقى بالمسدس بعيدا!

ودخل فى تلك اللحظة اثنان من رجال اسكتلانديارد، كانا فى الغرفة المجاورة.. والقيا القبض على فرانكلين كلارك!

والتفت بوارو نحوى باسما، وقال:

– لقد خانه الدهاء أخيرا.. لأن الحقيقة اننا لم نجد آثار بصمات أصابعه على الآلة الكاتبة، ولكنها حيلة قديمة أوقعته بها فى فخ الاعتراف!

ونهضت تورا جراى شاحبة الوجه لتتصرف، فقال لها بوارو:

– اننى آسف يا مس جراى، لقد طار العصفوران من يدك!

واندفعت الى باب الخروج دون أن تجيب من فرط الغضب!

– أما أنت يا مس مارى دراور، فأرجو أن تتأكدى من أن صاحبك

يبادلك الحب قبل أن تتمادى فى علاقتك به!

ثم ابتسم وأردف قائلا للشاب دونالد فريزر حين رآه ينهض ممسكا بيد ميجان بارنارد:

ـ لا تخجل يا مستر فريزر من مصارحة ميجان بحقيقة مشاعرك، فالواقع أنها تبادلك الحب، ولكن مأساة بيتى تقف عقبة فى سبيلكما أذكر دائما أن الحياة أقوى من الموت، وأن الحب أجمل ما فى الحياة.

ثم قال لى بعد انصراف الجميع:

– أما المستر سوست المسكين فيجب أن أعرضه على طبيب عيون لكى يصنع له نظارة جديدة، لأننى أعتقد أن صداعه المؤلم ناشئ من سوء حالة نظارته الطبية!

تمت

